الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الدراسات الادبية

التجربة النقدية في كتابات حبيب مونسي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص نقد ادبي حديث و معاصر

اعداد الطالبة:

زبالح أمال

اشراف :

د خطاب محمد

السنة الجامعية: 2022/2021

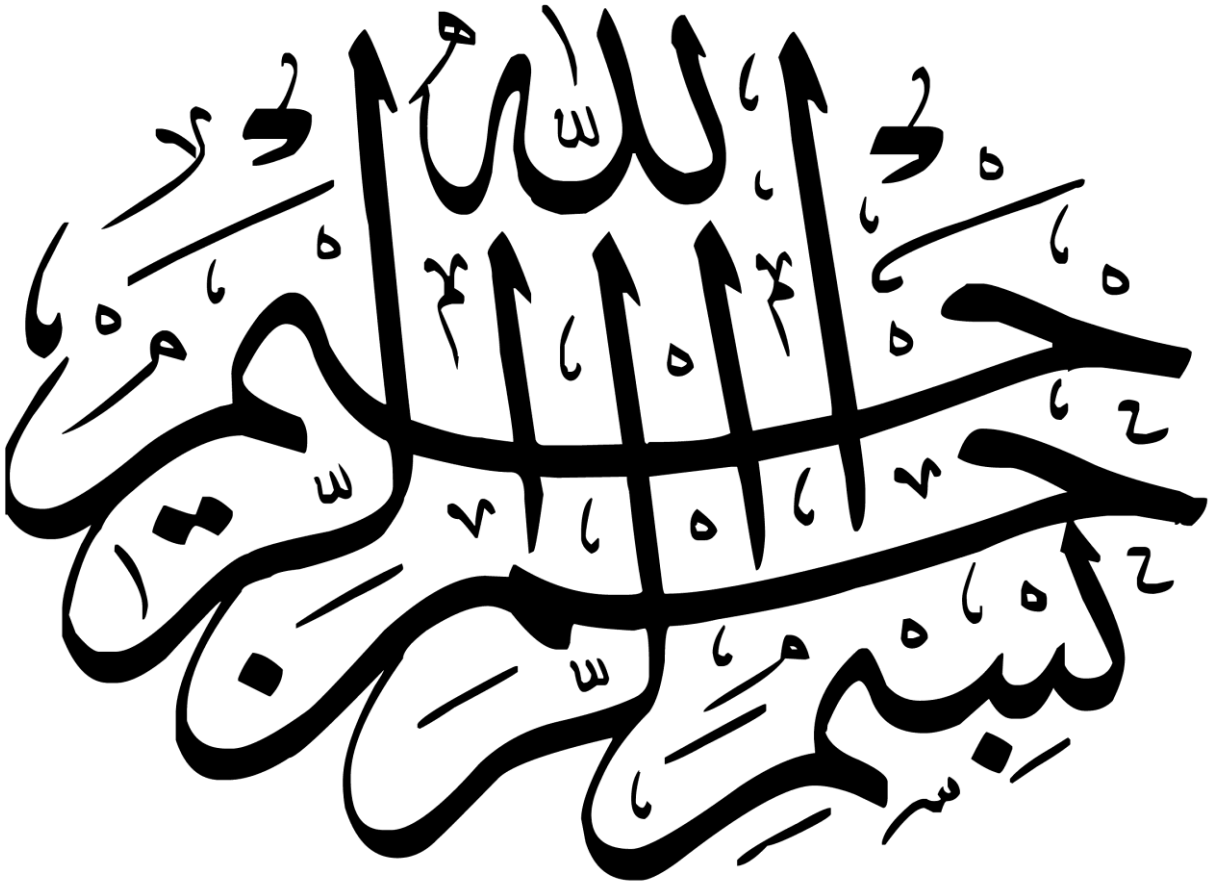
بسم الله الرحمن الرحيم

إ هـ د ا ء

إليك يا من احمل اسمك بكل فخر يا مثلي الأعلى يا من اعتز بك و ارى الرجل النادر يا من تعبت لأجلي لأصير ما أنا عليه اليوم .....أبي احبك .

إلى حكمتي .....وعلمي.

إلى أدبي .....وحلمي

إلى طريقي .....المستقيم

الى طريق .....الهداية

إلى ينبوع الصبر و التفاؤل و الأمل.

إلى كل من في الوجود بعد الله و رسوله أمي الغالية احبك إلى سندي و قوتي ومأذي بعد الله.

إلى من علموني علم الحياة

إلى من اظهر ولي ما هو أجمل من الحياة إلى إخوتي. حميد زهية خيرة

إلى زوجة أخي شفيقة

إلى زوج أختي عبد الرحمان

إلى أجمل أطفال حواء عبد الباسط عبد المؤمن فدوى اسحاق

إلى من كانوا ملاذي و ملجئي

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات

إلى من سأفتقدهم .....وأتمنى أن يفتقدوني.

إلى من جعلهم الله إخوتي بالله و من أحببتهم بالله

إلى من يجمع بين سعادتي و حزني.

إلى من لم اعرفهم ....و لن يعرفوني.

إلى من أتمنى أن تبقى صورهم في عيوني نصيرة شهيرة فريال.

كلمة شكر و تقدير

الحمد لله المتربع على عرش الكون العظيم و خالق الأكوان و معلم الإنسان و الصلاة و السلام على الرسول الكريم و من بيعه إلى يوم الدين و شكره عز و جل الذي وفقنا و سدد خطانا في مشوارنا الدراسي و من علينا بالتوفيق لإتمام المذكرة .

كما نتقدم بخالص الشكر و الامتنان لكل من ساعدنا من قريب او من بعيد و بالأخص الأستاذ المحترم المشرف على هذه المذكرة خطاب محمد الذي لم يبخل بتقديم النصائح و الإرشادات .

و أخيرا اسأل الله العلي العظيم أن يحفظنا و يوفقنا لإصابة القول و العمل و ان يجعل أعمالنا خالصة لوجه الله الكريم و متابعة لرسوله الأمين صلى الله عليه و سلم انه ولي ذلك و القادر عليه

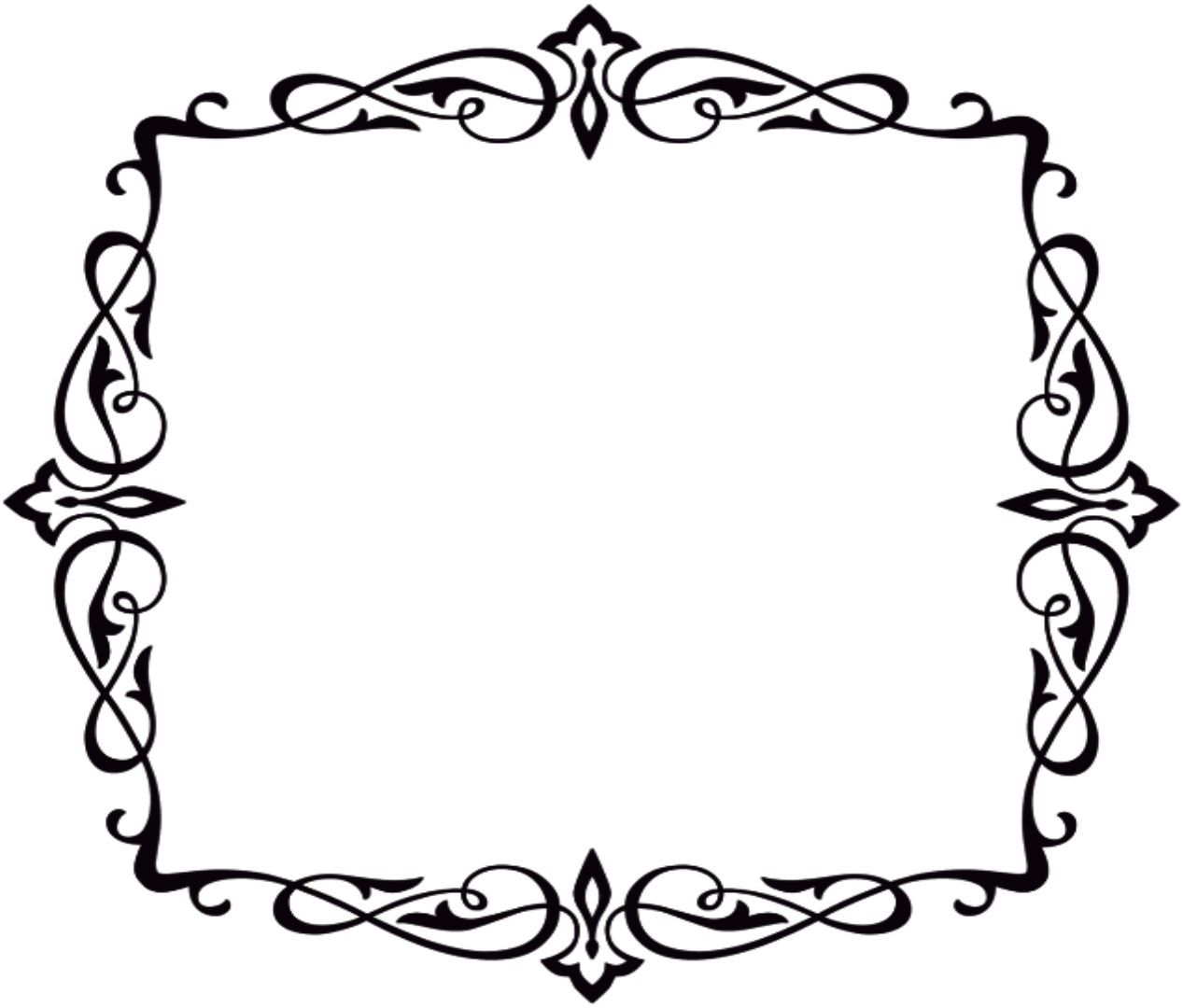

إن الحديث عن النقد حديث واسع جداً لا تكاد تحكمه حدود بالنظر إلى ذلك الحكم المعرفي النظري و التطبيق ، ذلك أن النقد يواكب حركة الحياة و الأدب أيضاً ، و إن كان تعاقب النظّريات و المناهج النّقدية في مقاربة النص الأدبي أمرا لإعتبار عليه فإن لعلاقات التبادل بين النقدين العربي و الغربي مساحة واسعة من الدرس و التحليل و معروف أن التراكمية في العلوم هي طابع يميز ظهور النظريات النقدية فعدم إهتمام الباحثين أدى إلى عدم وجود خطاب نقدي جزائري خصوصاً قبل فترة الإستقلال ، بإستثناء ما كان ينتشر في بعض الصحف و المجالات ، نشرها مجموعة من المشايخ الذين لم يهتموا بالنقد كثيراً من أمثال " أبن باديس " و " البشير الإبراهيمي " و " رمضان حمود " و غيرهم و كانت محاولات هؤلاء النقاد تنظرية أكثر منها إجرائية ، و قد إتمست خصوصا بالبلاغة و تصحيح الأخطاء اللغوية ، و كان ذلك إلى غاية 1961 م . و مع صدور أول كتاب نقدي ل " أبي القاسم سعدالله " الذي جاء بعنوان (محمد العيد آل خليفة . راشد الشعر الجزائري في العصر الحديث) ، بدأت تلوح في الأفق إشاعات الأدب الجزائري بروح ممتهجة شيئاً فشيئاً ، لكن ما يؤخذ عنها أنّها ظلت حسيبة الأدراج ، لأنها لم تجد من يدفع بيها نحو الإطار العام لمناهج النقد الأدبي .

و من هنا تنطلق هذه الدراسة المتواضعة ، التحاول أن تميط اللثام عن النقد الجزائري من خلال أحد أعلامه ألا هو المفكر الأديب و الناقد " حبيب مونسي " و على هذا ، فإنّنا نصبو من هذه المذكرة إلى الإجابة عن الإشكالية المحوية .

و هي : ماهي التجربة النقدية في كتابات حبيب منسي ؟ و إتدرجت تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية .

_ ماذا نقصد بالنقد ؟

_ كيف نظرية " حبيب مونسي" ؟

_ و هل وفق في ممارسته له ؟

و رغبة منا من إثراء هذا الموضوع النقدي الحساس الذي تكاد أن تتقدم الدراسات حوله و كذا رغبة في إشباع تهمنا و فضولنا في الفكر و النقد و الإلهام بخطاباته النقدية ، لذلك أرتاينا العوض في فكر هذا الناقد لإستجلاء أكبر قدر من أفكاره و قضاياه النقدية التي أنارو لا يزال ينير بها طريق النقد إلى اليوم .

وقد إتسمت هذه الدراسة بعد هذه المقدمة في فصلين و خاتمة .

فأما الفصل الأول فتطرقنا فيه إلى ورود مصطلح النقد و القراءة عنده .

و جاء الفصل الثاني آل و هو " الممارسة النقدية عند حبيب مونسي عبر كتب ثلاث رأيناها تقترب من الطرح النقدي المعاصر و هي كتاب "

فلنعته بالقراءة و إشكالية المعنى " و كتاب " نظريات القراءة في النقد المعاصر " و كتاب " نقد النقد ، المنجز العربي في النقد الأدبي .

و أدرجنا في الأخير خاتمة مهمة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال رحلة البحث و إعتمدنا في هذه الدراسة على إجراءات المنهج الوضعي الذي يعتمد على التحليل أحيانا .

مستندين في دراستنا على جملة من المصادر و المراجع ن أهمها كتب "حبيب مونسي " فلسفة القراءة و إشكالية المعنى "و" نظريات القراءة في النقد المعاصر "، و فعل القراءة " الإيزر .

و في الأخير لا يسعنا سوى أن نتقدم بأرقى عبارات الشكر و الإمتنان إلى الأستاذ الفاضل " خطاب محمد" الذي أشرف على هذه الدراسة و وجهني إليها فبارك الله فيه و بارك له في عمله و زاده من فضله .

الفصل الأول

مفهوم النقد:

يتبع النقد الأدب بأنواعه و أجناسه المختلفة، فهو يبحث فيها و يدرسها و يحاول تقييمها و حتى إصدار الأحكام، وفق معايير معينة ترتبط بطبيعة المنهج النقدي الذي تتم به الدراسة فهو واحد من الأنظمة المكونة لعالم الاتصال الأدبي المتعدد الأجهزة المتشعب الأنظمة المتباين الأنساق، و التي تندرج أنظمة المتكاملة الأخرى تحت الوية ثلاثة الإنتاج الأدبي التوزيع أو الوساطة، التلقي،[1] كما يشير تزفيتان تودرون في كتابة نقد النقد إن " النقد ليس ملحقا سطحيا للأدب إنما هو قرينه الضروري [2] فالعلاقة بين النقد و الأدب موجودة منذ نشأة الأدب التي أفرزت بالضرورة ظهور النقد و هو ما يراه محمد مندور في كتابة النقد و النقاد المعاصرون في تعريفه للنقد و ارتباط ظهوره بظهور الأدب، و يرى أن العلاقة بينهما لم تكتمل إلا في العصور الحديثة حيث يرى أن النقد هو متميز الأسلوب، و بالطبع لم يكتمل هذا المفهوم إلا في العصور الحديثة، فالنقد أن يكن قد ظهر في العصور القديمة معاصر للإنشاء الأدب" [3]

بعيدا عن التعريفات اللغوية للنقد يرى احمد أمين كتابه النقد الأدبي أن النقد " هو تمييز جيد الشيء من ردينه، و النقد في اصطلاح الفنين هو تقدير القطعة الفنية و معرفة قيمتها و درجتها في الفن، سواء كانت القطعة أدبا أو تصويرا أو حفرا أو موسيقى [4]

[1] صبري حافظ ، افق الخطاب النقدي، دار شرقيات، القاهرة،ط1، ص8
[2] تزفيتان تودروف، نقد النقد، تر: سامي سويدان: ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق،ط2، 1996، ص16
[3] محمد مندور، النقد: النقاد المعاصرون، دار النهضة، القاهرة،دط، 1997،ص183
[4] احمد امين، النقد الادبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط3، 1963،ص21

ما نبه إليه احمد أمين في تعريفه للنقد هو وجوب التمييز بين ما هو متاح من النصوص لان عمل النقد يقتضي فرز و غربلة الأعمال الأدبية جيدة المستوى من الضعيفة، و هو إذ يذكر لفظ التمييز فهو يدرك جيدا انه لا يمكن لان كان فعل هذا، لان الأمر يحتاج

دراية و خبرة، يتسلح صاحبها بمعرفة جيدة بالقواعد و المعايير و الآليات المتحكمة في ذلك بالإضافة إلى ملكة الذوق، حيث يقول: " هذا الذوق ليس ملكة بسيطة بل هي مركبة من أشياء كثيرة يرجع بعضها إلى قوة العقل بعضها الأخرى إلى قوة الشعور"، [1] و من المعروف كذلك إن النقد الأدبي يتطور الأدب، فهو في علاقة تلازم و توازي مع الإنتاج الأدبي منذ القديم و لو عندنا إلى بدايات النقد العربي لوجدناه يلازم القصيدة عند العرب حتى و إن كان انطباعيا تاثريا في البداية يعتمد على السماع، حيث تلقى القصائد في تجمعات تقام في الأسواق، كسوق عكاظ مثلا. فيتبارى فيها الشعراء و ينشدون أشعارهم و يحكم فيهم اعرفهم بالشعر و القصاصة و البلاغة و البيان، فيستحسن هذه القصيدة و يجمع الأخرى، وفقا للذائقة الشعرية عنده و ذلك الحس النقدي التاثيري البسيط، بعدها تولى تأليف الكتب النقدية كعمود الشعر لابن طباطبا العلوي و نقد الشعر لقدامة بن جعفر و ما تلى ذلك من مؤلفات في النقد فيما بعد خصوصا في العصر العباسي الذي نشطن به حركة التأليف و الترجمة و قد كان للنقد مكانته و وزنه في دراسة الأدب و تحقيقه، و لا يمكن بأي حال من الأحوال تصور أدب دون نقده لأنه يعتبر عملا إبداعيا من الدرجة الثانية، " فدون النقد لا تتضح التقاليد الأدبية و لا تتبلور القيم و المعايير الثقافية و لا يكتسب التراث القومي و الثقافي للأمة أبعاده و قيمه المعيارية و لا تتخلق هذه الظاهرة الحيوية الخلاقة التي نعرفها باسم الحياة الأدبية" [2]

[1] احمد امين، النقد الادبي ص21
[2] صبري حافظ، افق الخطاب النقدي ص115،116

إذن يمكن القول أن هناك تشاركا لمعايير ذاتية و عقلية، في تكوين الذائقة النقدية عند الناقد، و التي تجتمع لتكون ما سماه احمد امين بالملكة، و التي يمكنه الحكم من خلالها على الأعمال الأدبية، بالإضافة إلى الثقافة الواسعة و المتنوعة و سعة الاطلاع و المعرفة المسبقة

بالأجناس و الأنواع الأدبية و هو ما يذكره احمد أمين في معرض حديثة عن الصغات الواجب توفرها في الناقد حيث يقول " الناقد على العموم يجب أن يكون ذا حظ كبير من العقل و حظ كبير من الذوق و يتجادل الباحثون في انه لابد للناقد من معرفة آداب أخرى حتى يمهر في نقد اللغة، و على كل حال فاطلاعه على الآداب الأخرى يوسع افقه و يزيد في تجاربه[1]

يقتضي الأمر أن تتوفر في الناقد مجموعة من الصغات تحدث عنها احمد أمين و غيره هذه الصغات تمكنه من معرفة و فهم الخطاب الأدبي و تتبع الإنتاج و الإبداع و نقده و من المفترض أن يكون الناقد ملما بأكثر من لغة متطلعا إلى الجديد في مجاله و متابعا جيدا له ، إضافة إلى محاولة تعري الموضوعية في مقارباته النقدية للأعمال الإبداعية.

[1] احمد امين، النقد الادبي ص22

أهميته:

طالما كان هناك أعمال إبداعية، فان تثمينها لا يتم إلا من خلال النقد بمعاييره، و هو الرأي الذي يذهب إليه صبري حافظ في كتابه أفق الخطاب النقدي حيث يرى" أن النقد ضروري لكل التجارب، و الأعمال الإبداعية مهما اختلف حظها من النجاح و الفشل ، فهو ضروري للأعمال الناجحة فنيا، لأنه يبرز مواطن قوتها و يكشف عن ثراء محتواها و يشير إلى مستويات المعنى المتعددة فيها. [1]

يعتبر صبري حافظ أن النقد مهم و ضروري في إبراز قيمة الأعمال الأدبية مهما كان مستواها و قيمتها الفنية، حيث يتيح للقارئ الاطلاع على أعمال أدبية كثيرة و اكتشافها و هي الحقيقة الماثلة، فلا يمكننا أن ننفي قيمة النقد و تقييمه لهذه الأعمال ة كم من كتاب كانوا مغمورين أبرزهم النقد و كم من كتب ألغت و طواها الزمن، ثم أعاد النقد بعثها من جديد كما انه" يقيم جسورا هامة بين القارئ، و بين رؤى هذه

الأعمال و انجازاتها، لان التجربة النقدية في التعامل مع الأثر الأدبي هي تجربة في قراءته تطرح ثمارها على القارئ، لا ليقرا الأثر على أساسها و إنما للاسترشاد بكشوفها و تعميق قراءته الخاصة للعمل و تمكينه من قراءة الأعمال الأخرى بحس نقدي حاد، و تزداد الجمهور التي يقيمها النقد هنا أهمية كلما زاد غموض العمل، أو اعتمد على تقاليد، و مواضعات فنية، ليس للقارئ العادي دراية كبيرة بها أو احتمل العديد من التفسيرات المتضاربة التي قد تبلبل القارئ او تصرفاته عن الاهتمام به برغم أهمية كاثر فني متميز " [2] يتيح النقد للقارئ الاطلاع على أعمال أدبية كثيرة، بل يحفزه في كثير من المرات على اكتشافها بعد قراءته لما كتب عنها من دراسات، و من الطبيعي ان تكون قراءته تلك ذات رؤية، مسترشدا بطروحات النقد فالنقد في هذه الحالة بمثابة المرشد للقارئ في تناوله لتلك الآثار الأدبية و هذا ما يدرج فكرة العلاقة بين النقد و الادب، التي تناولها نور ثروف فراي في كتابه تشريع النقد

[1] صبري حافظ، افق الخطا النقدي ص120
[2] صبري حافظ، افق الخطاب النقدي ص120

الذي ذكر فيه أن " النقد كيان من الفكر له وجوده المنفصل، و يتمتع بقدر من الاستقلال عن الفن الذي يتناوله.[1]

عد نورثروب فراي النقد كيانا مستقلا بذاته، عن أي فن ينقده، لكن هذا لا ينفي أبدا ذلك التقارب الكبير بين الأدب و النقد حتى و ان اعتبر البعض أجناسه، والنقد علما قائما بذاته لدراسة هذا الأدب إلا أن الفائدة المنتظرة من هذا التقارب وفيرة، في كثير من المضفات

النقدية، التي اختصت بدراسة الأعمال الأدبية الإبداعية، و هي كشوفات بالنسبة للقارئ العادي غير المتخصص لم يكن ليصل إليها بمعزل عن هذا النقد و من دونه، و تتضح أهمية النقد بالنسبة للأدب الذي تتم دراسته عن طريق هذا النقد، الذي يميز الأدب الراقي الجيد من الأدب الوضيع و يبرز مواطن الجمالية فيه، و يقوم أساليب المبدعين، و يعيد قراءة و بعث ما كتب من أدب في عصور قديمة من جديد و يتابع حركة الإبداع في تطورها و اختلالها، و تقاليد الكتابة في تغيراتها من زمن لأخر، و يقارن بين الآداب المختلفة المنابت، فهو بحق يسير في موازاة مع الأدب و الإبداع و الكتابة، حيث تداولت على دراسة الأدب الكثير من النظريات و المناهج النقدية التي اختلفت في نواحي و زوايا الدراسة، لكنها اشتركت في نفس الهدف، و هو العناية بهذا الأدب و تتبع حركيته و مواكبتها، إما بالنسبة للقارئ فكانت الدراسات النقدية بمثابة دليل له في قراءاته للأدب، التي يستطيع بعد الاطلاع عليها ان يكون نظرة، ربما لم يكن ليكونها بمعزل عن هذا النقد، و بطبيعة المتخصص و الأكاديمي، الذي يملك من الأسلحة المعرفية في المجال ما يؤهله لإصدار أحكام عن النص قراه، و يتبين قيمة العمل الأدبي و يستطيع تصنيفه.

[1] نورثروب فراي، تشريع النقد،تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الاردنية عمان، دط، 1991 ص5

وظيفة النقد:

برزت قيمة الوظيفة الإدراكية للنقد الأدبي أكثر، و تبلورت مع " التحول الكبير الذي عرفته النظرة إلى اللغة على يد فردينا تددي سوسير في العقد الأول من هذا القرن، ثم تواصلت مع كشوف الشكليين الروس و اعمال باختين المبهرة في العشرينيات، و انجازات مدرسة براغ النقدية و استقصاءات مدرسة كمبريدج الانجليزية، و المدرسة فرانكفورت الألمانية في الثلاثينيات و كشوف لوكاتش و مدرسة جنيف و مدرسة النقد الجديد الأمريكية في الأربعينيات و جهود غريماس، و بارث، جولدمان و النبيويين الفرنسيين في الخمسينيات وصولا ال استقصاءات التفكيكيين، و مدرسة جامعة ييل الأمريكية في الستينات و محاولات ما بعد البنيوية في السبعينات و الثمانينات"[1]

لقد شكلت أبحاث دي سوسير بخصوص اللغة نقطة انعطاف محورية في تاريخ النقد الأدبي عند الغرب، الذي كان قبل ذلك سياقيا محضا يتعامل مع الأدب عبر وساطة تخصصات أخرى، كعلم النفس و علم الاجتماع و الفلسفة و التاريخ و الذي أصبح فيما بعد يدرس اللغة على أساس أنها نظام و بنية بحد ذاتها و هو ما افرز فيما بعد نظريات نسقية ، و مناهج لدراسة النص الأدبي تختلف من

ناحية منهج الدراسة و كيفيتها، لكن ذلك لم يغير من مهام النقد و الذي بقيت أهم وظائفه الأساسية متابعة النشاط الأدبي بالنقد و الدرس و التحليل،" ليس لان النقد و الدراسة و التحليل أهداف مطلوبة لذاتها، و لكن

[1] صبري حافظ، افق الخطاب النقدي، ص15

لان النقد باعتباره قراءة ذهن مدرب على التذوق دارس لانجازات الأدب الإنساني في الميدان الذي ينتمي إليه العمل الأدبي و تراثه. [1]

حيث يتتبع النقد هذا العمل الأدبي، و يقوم بتحليله و دراسته، لا من اجل التحليل في حد ذاته، و إنما يصدر ذلك عن خبرة و الماما بمعايير النقد، و التي تتحكم في تثمين هذه الإبداعات و تقييمها" و تقي الحركة الأدبية من النكوص و الجمود و الانتكاس، و تساعد الكاتب المبدع على إرهاف أدواته الفنية، و تعميق وعيه بإمكانيات الجنس الأدبي الذي اختار الإبداع فيه، و تحليل مكوناته، و ربطه بالظروف التي صدر فيها، و بالواقع الذي يعبر عنه و يتوجه إليه معا حتى تتسع فائدة القارئ من العمل، و حتى يستفيد الكاتب الناشئ من أعمال من سبقوه لان التحليل باعتباره النقيض لعملية الإبداع القائمة على التركيب يضيء للكاتب المحتمل الطريق و يرهف حسه بالأدوات و التقاليد و المواصفات الأدبية [2]

يضيء النقد الطريق امام القارئ، و يعمل على تحسين ذوقه و تعريفه بالأجناس الأدبية و مواطن الجمالية فيها، و الرداءة على السواء، و هو بهذه الخطوات يساهم في تطور الأدب بطريقة أو بأخرى، و تتجاوز فائدته

العمل الأدبي في حد ذاته إلى مبدعه، الذي يمكنه من تحسين أدواته الإبداعية، و ذائقته الفنية، فينمي لديه تلك الموهبة و يصقلها و يقيمها و يقومها و يمكنه من التجديد في أساليبه و تحسين معارفه أما فائدة القارئ من النقد فهي لا تقل عن فائدة المبدع منه، فالقارئ يستنير في قراءته بما يقدمه النقد من توجيهات و إشارات تمكنه من اكتساب رؤية خاصة به، و لا يتأتى ذلك طبعا إلا بالمداومة على القراءة و سعة الاطلاع، و متابعة ما يجد في حقل الدراسات النقدية عامة، و هو بهذا" يخلق تيارا من الرؤى الجديدة و الأفكار الثقافية التي ترفد حركة الإبداع، و تضع الحركة الثقافية المحلية في وسط العصر، الذي تعيش فيهو تصل هذه بتراثها القريب و البعيد و تساعدها

[1] صبري حافظ، افق الخطاب النقدي ، ص116
[2] المرجع نفسه،ص116

على المغامرة في استكشاف الأصقاع المجهولة، فليس على النقد أن يقنع بدور التابع لما يدور في الواقع الثقافي، أو حق المشارك في فعاليات هذا الواقع لنما عليه إن يطمع إلى القيام بدور ريادي فيه، و يتحقق هذا الدور الريادي إلى حد ما، من خلال دراسة النقد لما يدور في شتى الثقافات الإنسانية الأخرى، و تقديم ما يرى إن احتكاك ثقافة به قد يفيد هذه الثقافة أو يلهم مبدعيها، أو يطرح بعض الحلول لما تواجهه من مصاعب أو مشكلات و بهذا يساهم النقد لا في إثراء ثقافته وحده، و إنما في عقد حوار خلاق بينها، و بين غيرها من الثقافات الإنسانية كذلك [1]

يمكن أن نعتبر النقد نافذة مفتوحة على الثقافات الإنسانية، تتيح المعرفة و الاحتكاك بين الآداب على اختلافها و تنوعها، و يتم ذلك عن طريق " الدراسات النظرية التي تطرح مجموعة من الأفكار المجردة

التي استقاها النقد من حصيلة معرفته الثقافية الواسعة بالإنتاج الأدبي من ناحية، و من إمكانياته الإبداعية القادرة على تلمس الإرهاصات و فرض النسق على الفوضى، و تغييرا لحساسية الأدبية، و اكتشاف عناصر الحساسية الأدبية الجديدة أو أجنتها الطالعة من فيئها و هي لا تزال مجرد اهاصات واعدة [2]

نستطيع القول انه من الممكن أن يكون النقد جسرا بين مختلف الثقافات و الآداب، من خلال الانفتاح على الآخرة و معرفته، و يتم ذلك " بإضاءة المنطق المعتمدة في الذات، و التي من شروط إضاءتها عدم انطواتها على النفس إنما بإثارة الأسئلة و محاورة الذات و الأخر معا [3] و إذا ما عدنا إلى وظيفة النقد بالنسبة للعمل الأدبي، فيلخصها سيد قطب في كتابه النقد الأدبي أصوله و مناهجه في مجموعة من الوظائف، حيث يعتبر " أولها تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية و بيان قيمته الموضوعية، و قيمه التعبيرية و الشعورية و تعيين مكانه في خط سير

[1] صبري حافظ، افق الخطاب النقدي ص117
[2] صبري حافظ، افق الخطاب النقدي ص117-118
[3] عبد الله ابراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الاخر، المركز الثقافي العربي، بيروت ط2، 1996، ص5-6

الأدب، و تحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته و في العالم الأدبي كله، و قياس مدى تأثره بالمحيط و تأثيره فيه، و تصوير سمات صاحبه و خصائصه كذلك" [1]

كل هذه الوظائف مجتمعة يمكنها" إعادة صياغة و تقييم المسلمات الأدبية و تمحيصها و إعادة النظر في سلم الإمكانات الأدبية كل فترة من الزمن، و هي عملية ضرورية لضمان حيوية أي أدب أنساني[2]"

النقد الغربي و نشأة المنهج:

إن المتبع لتاريخ التحولات الأدبية و الفكرية، و الفلسفية الأوربية، يجد أن هذا التطور النظري و المنهجي الذي وصلت إليه اليوم ، لم يكن ليأتي من فراغ فقد" تأسس المنهج طريقة صارمة للبحث و الاستقصاء على خلفيات متقلبة مضطربة، تسكنها الثورة و التذمر و السخط، و قد تسلطت قوى اللاصوت على رقاب الناس، و أجبرتهم على اعتقادات ساذجة تتعارض في ابسط مقولاتها مع البديهة و الرأي السليم، مدعومة بتسلط الإقطاع و همجيته التي بارتها الكنيسة، لقد كانت نشأة المنهج في هذا الخضم وسيلة للخلاص يديرها العقل للإجابة عن أسئلة ملحة تدور بخلد الانسام، منطلقة من أعماق ذاته متسائلة عن كنهه عن وجوده عن صلته بالقوى الغيبية عن العالم من حوله، حتى غدا الإنسان وسط هذا الفيض من الأسئلة مركزا للكون منه تنطلق الأسئلة و إليه تعود، و هو الوحيد القادر على إيجاد الجواب الذي يطفئ لهيب حيرته". [3]

إن الظروف الاجتماعية و الخلفيات الفلسفية و الدينية مجتمعة، شكلت بؤرة تفاعل فيها الإنسان الغربي مع ذاته و محيطه، فكانت الثورة على المفاهيم و تغييرها بداية بالجانب الديني الذي كانت الكنيسة تمثله و ما أفرزته تلك الممارسات و الطقوس من ظروف متشددة حكمت حياة هذا الإنسان، فكان لزاما عليه أن ينتفض و يسعى

[1] سيد قطب، النقد الادبي اصوله و مناهجه، دار الشروق، القاهرة،ط6، 1996 ص7
[2] صبري حافظ، افق الخطاب النقدي،ص118
[3] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكالية المعنى، دار الغرب، دط، 2007، ص10-11

للتغيير، هذا التغيير الذي كان انقلابا واعيا بحث فيه عن ذاته قبل كل شيء ليرضى فضوله المعرفي بكل ما يحيط به من ماديات و معنويات فعملت " الفردانية على اتخاذ الذات مرجعا للحكم القيمي"[1].

و هو بهذا يكون قد رد الاعتبار للذات في بحثه عن منهج للحياة و الفكر، فكان المنهج وعيا تلبس واقعا غربيا حر، تدرج عبر أعصر عانى فيها الأمرين قبل أن يتبين أمره". [2]

لا ينشا المنهج من فراغ، فلابد له من إرهاصات و ملابسات و تغيرات واقعية على مستوى الفكر بالدرجة الأولى، حتى تتحدد اليته، التي تمكن من العمل به و اختياره و تبنيه و قد" تشبعت مقولات المنهج عند الرواد بتلك الإرادة الدفينة في تجاوز و تخطي الواقع، إلى وضعيات تتيح للفرد إمكانات المفارقة و التباين، حتى يغدو الكون يدور على شاكلته وفق مقاييسه الذاتية، و تأكد لديه بان النظام العقلي هو عينه نظام الوجود الطبيعي" [3]

لقد عرف النقد الغربي الكثير من التحولات و التغييرات و باعتبار الأدب متعلقا بالحياة، و النقد مرتبطا بالأدب، فقد كانا يخضعان للتحولات ذاتها لان بينهما علاقة توازي تحكمها آليات المناهج و النظريات الأدبية فقد مر النقد الغربي عبر مسيرته التطوية بعدة مراحل و تداولت عليه عدة مناهج، و بما أن المنهج هو طريقة للبحث توصلنا إلى نتائج مضمونة، ينقل التنظير إلى الحيز التطبيق و يمكننا من التواصل إلى نتائج بطريقة علمية مضمونة فقد اقتضت دراسة الأدب المرور عبر مناهج لدراسته كغيره من العلوم الأخرى كالتاريخ و الفلسفة و علم الاجتماع.

[1] المرجع نفسه ص11
[2] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكاليات المعنى ص14
[3] المرجع نفسه،ص15

هذه المناهج النقدية الأوربية التي فرضتها ظروف محددة عاشتها تلك المجتمعات لان" كل تغيير في مجال الفكر و الفن لا يحدث بمعزل عن القوى الأخرى الفعالة في المجتمع و ذلك كانت ولادة هذه المناهج و تطورها يحدث بصفة طبيعية" [1]

أفرزت التراكمات الاجتماعية و التاريخية و الفلسفية في المجتمع الاروبي ثورة حقيقية على الماضي و شككت فيه، و لم تعد تعتبره مرجعا يمكن العودة إليه، بما فيه السلطة الدينية و أتاحت المجال للفرد، و جعلت منه مركزا فكانت النهضة التي غيرت ملامح المدنية الأوروبية و الإنسان و شملت جميع مجالات الحياة بما فيها الأدب و النقد.

مفهوم القراءة و مرجعيتها عند مونسي:

تناول مونسي القراءة من مفاهيم عديدة نكتفي بإيرادها كتعاريف ثم يلتي التفصيل فيها في عنصر مستقل يتعلق بالخلفيات الفكرية و الفلسفية التي أثرت في بلورة فكر مونسي، و تلقيه لنظرية التلقي، حيث نجده قد كتب العديد من المقالات النقدية التي قارب فيها فعل القراءة، كما الغى مجموعة من الكتب التي تحدث فيها عن هذه النظرية و منها" القراءة و الحداثة"، " فعل القراءة" " فلسفة القراءة و إشكاليات المعنى"، و تجده يضع فصلا كاملا في كتابه نظريات القراءة في النقد المعاصر، يتناول فيه هذه القراءة من زوايا متعددة و يعالجها قد يجيب فيها عما طرحناه في بحثنا من تساؤلات، يناقش مفهوم القراءة في أول فصل من كتابه و يميز بين أنواع القراءة لفعل حضاري ثم فعل مختص، ثم فعل لذة و متعة، لكن ما يميز هذا التفصيل انه يقيمه على منحى تاريخي ديني، يعود إلى الخلفيات الدينية و التاريخية التراثية يتوقف كثيرا عند القران، التراث العربي النقدي القديم و هي إحدى الخاصيات التي تميز مقولاته النقدية في غالب مؤلفاته نجده يقول:"نحاول اقامة الفعل على استعراض تاريخي يجعله منفذا

[1] حسن مجيدي، سيد محمد احمد نيا، النقد العربي المعاصر و تاثره بالمناهج الغربية، مجلة اضاءات نقدية،ص112

للإنسان إلى معرفة و متابعة المجهول" [1] فهو يحاول عقد مقارنة تاريخية، بخصوص نشا فعل القراءة عند العرب المسلمين و الغرب و يبحث في المنطلقات الأولية و التاريخية التي أنتجت ذلك التحول و الانقلاب الفكري عند الغرب.

مبدأ التاريخية :ياخص هذه النشأة لفعل القراءة ، ويعرفها وفق خط سير تارخي في كتابه فلسفة القراءة و إشكاليات المعنى فيقول : "القراءة هنا ذلك النشاط العارف الذي يتخطى النصوص .إلى النص قيمة و حضورا معرفيا .وأخلاقيا وقيا في آن ،قراءة الفكر الغربي عبر تحولات الحقيقة ، والقيمة ، والمنهج ، والفن ابتداء من التحول الحداثي في القرن الرابع عشر الميلادي ، وذلك من خلال نشوء مفاهيم جديدة كانت أساس الانقلاب الفكري و المعتقداتي الذي احدث قطيعة مع الفكر المسيحي اللاهوتي القروسطي بدء بالفردانية و عودة الاعتبار إلى الذات و اتخاذها مركزا للكون .و اتخاذها مقياسا تحيل على ذاتها كل شيء استحسانا و استهجانا و من ثم تراجع التوجيه المتعالي السماوي ،و تراجع النص المقدس و شروحه ورجالته غدت الذات عالمة او جاهلة مقياسا لماله و ماعليها . والإنسانية

التي غدت امتدادا طبيعيا لادعاءات الذات، حيث أضحت رؤيتها الصحيحة و حاضرها هو الحاضر المتمدن، و من ثم وجوب رؤية الآخرين انطلاقا من ذاتها، تفرض عليهم حقيقتها الجديدة. [2]

يتناول مونسي نشوء مفهوم القراءة في الفكر الغربي، وفق منهج تاريخي، حيث يبحث في " السبل التاريخية التي كانت وراء القطيعة مع الفكر المسيحي اللاهوتي، يتحدث عن تحول المفاهيم و انقلابها منذ التحول الحداثي في القرن الرابع عشر، الذي إذن بتغير كثير من المسلمات بدءا بمصطلح الفردانية، و هي إعادة المكانة للذات بعد ان

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الاديب دط، 2007،ص2
[2] المسدي عبد السلام، الاسلوب: الاسلوبية نحو بديل السني في نقد الادب الدار العربية للكتاب، دط، ليبيا/ تونس، 1977، ص05

ذابت سابقا في ثنايا التعاليم المتعالية للنص اللاهوتي و عاشت سنين الظلام، فكانت الثورة و الرفض لهذه التعاليم و البحث

عما يعطي هذه الذات القيمة و المعنى و الحضور، و يفتح أمامه سبيل التحرر و محاولة مساءلة النفس، و البحث عن العالم الخارجي انطلاقا من الوعي الذاتي أولا بالحضور، و البحث عن مناهج و أساليب قراءة جديدة أساسها الاعتداد بالذات و أخذها مقياسا و معيارا" [1]

فكانت الثورة على ذلك التفكير الميتافيزيقي الغيبي، البحث عن بدائل علمية تجريبية يقينية تصوب الجهود، و تصب اهتمامها على الجانب الذاتي و تستشعر هذا الوجود فتنفتح على العلوم قاطبة، و كان السبيل إلى هذا تغيير مناهج البحث و طرائقه و هو ما يذهب إليه نقاد كثر من الجانب الغربي حيث يذكر مجموعة من المؤلفين لكتاب بحوث في القراءة و التلقي و هم على التوالي: فيرناندهالين، فرانك شويرفيجن، ميشيل اوتان، كيف كانت بداية افتاح الذات على التأويل بعيدا عن النص المقدس، و كيف تجاوزه بعض ادباء العصور السابقة لتأويل نصوصهم الأدبية و قراءتها، حيث يذكرون ان " دانتي على سبيل المثال و على الرغم من أن بعض اللاهوتيين اعترض على التوسع في التاويل ليشمل تفسير نصوص غير نصوص الكتاب هذا الصدد تطبيقات على نصوص قديمة فرجيل، اوفيد"[2]

من الواضح أن الحديث عن الجذور الأساسية لنظرية التلقي، و التي أسهمت في تكوينها و جعلت من انفتاح الذات على الموضوع، بدل الاكتفاء بتأويلات النص الديني بالدرجة الأولى، يحيلنا إلى المنطلقات الأولى التي انبثقت عنها هذه الأخيرة، حيث كانت البداية بتأويل النص الديني عند الغرب، و هي الفكرة ذاتها التي يناقشها مونسي

[1] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكاليات المعنى ص7-بتصرف
[2] فيرناند هالين و اخرون، بحوث في قراءة و التلقي ص14

فيرى أن" الحديث عن القراءة و نظرياتها، و ما يتصل بها من تفكير، يرتبط أساسا بالنصوص الدينية و سبل تأويلها في الفكر الغربي، حتى تتسع لمقتضيات العصر" [1]– لقد كانت الإرهاصات الأولى لهذه النظرية تستجمع أثارها من التأويل الديني بالدرجة الأولى، و الذي فرضته سيطرة الكنيسة في العصور الوسطى، فكان التأويل للنص الديني بعد عصور الظلام و كان التأويل الأوحد و المحدود في ذلك الوقت، و هو ما ذهب إليه امبرتوايكو ان " التأويل بالطبع ليس فاعلية مخترعة من قبل المنظرين الأدبيين للقرن العشرين، بالفعل هناك تاريخ طويل من الالتباسات و النزاعات، حول كيفية تمييز تلك الفاعلية في الفكر الغربي و كان أهم ما استثارها، هو المهمة الضخمة التابعة لذلك من تأسيس معنى كلمة الرب، و يؤرخ لبدء المرحلة الحديثة لهذا التاريخ بنحو جوهري مع بروز الوعي تجاه مشكلة المعنى النصي الذي أنتجته الهيرمينوطيقا الانجيلية المرتبطة بشلير ما خر عند بداية القرن العشرين و مع جعل مركزية التاويل في فهم مجمل إيداعات الروح الإنسانية أساس التخطيط لنطاق كامل من العلوم الروحانية" [2]

أن المرجعيات الفكرية و الأساسية الأولى لنظرية التلقي، و ما يتبعها من تأويل عند الغرب يعود إلى الجانب الديني، و الذي خضع فيه التأويل لنظرة أحادية هي ما يقوله هذا النص المقدس ، و بالتالي فقد صيغت الأبجديات الأولية لهذه النظرية في مجال ديني بعيدا عن الأدب، و الذي يلزم حتى تتجاوز نطاق التضييق لتعبر إليه من تحولات عميقة في الفكر الغربي وفق خصوصية معينة، و ما يعيبه مونسي على النقاد العرب هو

عدم الرجوع إلى الخلفيات الفكرية، و الدينية و الفلسفية لهذه النظرية و المسارعة إلى تطبيقها في قراءة النصوص حيث يقول: " و إذا كنا في مجال الأدب نردد كثيرا من هذه النظريات، ترديدا آليا خاليا من الوعي الذي يغوص عميقا في الجذور المؤسسة للنظريات، ثم نسارع لإجارتها مناهج و طرائق لتفسير النصوص في سذاجة كاملة، تجعلنا

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص1
[2] امبرتوايكو: التاويل و التاويل المفرط،تر: ناصر الحلواني، مركز الانماء الحضاري،ط1، 2009، ص10

نفصل فصلا بين الأدبي و الديني، و لا نشغل بالنا أبدا بالتفكير الهادئ في إمكانية كون الأداة التي نتعامل معها إنما صيغت في حقل غير الحقل الأدبي، و إن كثيرا من مصطلحاتها بل كلها إنما نحتت من ذلك الحقل و أشبعت برؤاه". [1]

الحقيقة أن لكل نظرية منابعها الفكرية، و الفلسفية و الدينية و العلمية فهي تكتسب خصوصيتها من الحقل الذي صيغت فيه، و هو ما حدث مع نظريات الأدب المتعاقبة، إلا أن الملاحظ أن نظرية القراءة، استقت منابعها من مفاهيم و مشارب متنوعة ابتداء من الجانب الديني التاويلي و الفلسفي الظاهراتي و العلمي البنيوي، الشكلانية و غيرها اجتمعت كل هذه المشارب لتكون هذه النظرية، و استغرقت او لنقل اجتمعت إرهاصاتها عبر مدة من الزمن، لتصب في جانب الأدب، و تبحث في تأويل النص الأدبي، هذا التأويل الذي يقوم به المتلقي ليعطي قيمة و معنى و حضورا.

و إذا ما تطرقنا إلى فكرة خصوصية النظرية و منابعها حسب مونسي و اكتفينا بالبحث في الأصول فقط، من المؤكد انه سيكون لدينا نوع من الالمام و الفهم لهذه النظرية و سبل تطبيقها في الحقل الأدبي، لكنه لن يغنينا ابدا عن الاطلاع على غيره من المجالات العلمية الأخرى.

هذا من ناحية و من ناحية أخرى يجب إلا نقف عند هذه النقطة مطولا بل يمكننا أن نأخذ من هذه النظريات ما يتوافق مع خصوصية فكرنا بعيدا عن الايديولوجيا المسبقة في التفكير، و من ناحية ثالثة لا باس بالرجوع إلى تراثنا و إعادة تعبيد طريق العودة إليه للنهل منه و استنطاق نصوصه النقدية، و هذا لا يعد رجعية و لا عيبا، بل نعتد بذلك في ظل الانفتاح على أخر، و عدم التقوقع على الذات، و رفض الوارد رفضا مطلقا، يجب أن نعي ذاتنا قبل كل شيء، ثم نعي علاقتنا بالأخر، و هي الفكرة التي يشير إليها نصر حامد أبو زيد في كتابه إشكاليات القراءة و

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص1

آليات التأويل حين يتحدث عن ضرورة الوعي في علاقتنا الجدلية مع الغربي فيقول:" ينبغي أن نكون على وعي دائم في تعاملنا مع الفكر الغربي في أي جانب من جوانبه، بأننا في حالة حوار جدلي خصوصا و إننا يجب إلا نكتفي بالاستيراد و التبني، بل علينا ان ننطلق من همومنا الراهنة في التعامل مع واقعنا الثقافي بجانبيه التاريخي و المعاصر، من هنا يكتسب حوارنا مع الفكر الغربي أصالته و ديناميته، و من هنا أيضا نكف عن اللهث وراء كل جديد، ما دام قادما إلينا من الغرب المتقدم، هذا الوعي بعلاقتنا الجدلية بالفكر الغربي من جانب آخر، يخلصنا من الانكفاء على الذات و التقوقع داخل أسوار تراثنا المجيد و تقاليدنا الموروثة، و من الغريب ان واقعنا الثقافي، و كذلك الاجتماعي، و السياسي يتبع لشعاري الانفتاح الكامل و الاكتفاء الكامل دون أدنى إحساس بالتعارض الجذري بين الشعارين"[1].

مرجع ديني :

قد تتدخل الخلفيات الدينية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وتتجلى في المقولات النقدية لبعض النقاد ، وهو ما يلمس المتلقي في بعض النصوص ،التي تعمل بالآراء النقدية ،كما أن النص يصمد عبر الزمن ويخضع لقراءات لا متناهية تختلف باختلاف القراء، و درجاتهم ،ومهاراتهم ، ومستوياتهم ، و معرفتهم بالمناهج ، وتقنيات القراءة ، التي تتغير بمرور الزمن ، ويبقى هذا النص عاملا للربط ، وهو الأمر ذاته بالنسبة للقراء كفعل حيث تختلف وتتنوع وتتباين من نواحي عديدة ، وهو ما يقودنا إلى البحث عن آليات ومناهجها ومرجعياتها عند مونسي ، الذي يعقد مقارنة بين مفهوم القراءة عند العرب المسلمين و العرب المسيحي ، ناحيا بذلك منحنى دينيا تاريخيا ، ويتناول مفهوم القراءة عند العرب كأمر رباني حيث يقول :" ينبثق فعل القراءة في القران الكريم من فعل الخلف والإبداع

[1] نصر حامد ابو زيد، اشكاليات القراءة و اليات التاويل، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط7-2005،ص14

الذي يرتد بالإنسان إلى تشكله العقلي الأول كمبتدئ التخلق فيه ، ثم النمو الجنيني ثم الاستكمال السوي في أحسن صورة ، وكأنه إحالة على وضيفة الفعل القرائي المشروط 'بسم ربك' نحو الكمال الإنساني "[1]

القراءة عند مونسي فعل انتاجي قبل أن تكون فعلا استهلاكيا، كما أنها فعل معرفي في لطار تلقي النصوص، فهو يؤسس لفعل القراءة انطلاقا من النص القرآني فيتضح البعد الديني عنده منذ الوهلة الأولى، و تظهر مرجعيته الدينية مباشرة، حين يربط بين فعل القراءة و فعل الإبداع و الخلق، فالقراءة عنده بمثابة خلق فكر جديد و أراء متجددة و قد نعتبر هذا مصطلحا خاصا.

كما انه يربط بين القراءة و الكتابة التي يعتبرها تجسيدا ماديا لها ، و بين الأمر الرباني الصريع الذي ابتدأ به الوحي و هو(اقرأ باسم ربك) [2]فيعود للمرجعية الدينية التي (

[1]حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص5
[2]سورة العلق، الاية 1

يرفضها) بالنسبة أرواد نظرية القراءة الأوروبية، و يرى أن لها منطلقا دينيا أسسه تأويل النص المقدس في حين ينطلق

في تفسيره لفعل القراءة من النص الديني القرآني وهو الأمر الذي يجعلنا نطرح التساؤل التالي:

هل فعلا تعيقنا الخلفيات الفكرية الفلسفية ، والدينية للنظرية عن الاستثمار الجيد لها في مجال الأدب و النقد ؟

لقد أثبتت نظرية التلقي شموليتها في معالجة النص الأدبي ، فعاقت النظريات السابقة في تناولها للعلوية الإبداعية ،ولم تشكل روافدها ،ومنابعها أي عاقد لها في القاربة ، وهي تثبت في دورانها حول النص فاعليتها من يوم لأخر ، حيث نحيط بعناصر العملية الثلاثة وهو الأمر الذي قصرت فيه غيرها من النظريات حيث اختصت بجانب على حساب الأخر .

مرجع علمي ثقافي :

يتجلى الرقم المعرفي والثقافي وسعة الاطلاع ، في كتابات مونسي النقدية وتستطيع تبين هذه الخلفيات الثقافية و المعرفية من خلال ثلاثة عوامل أساسية يمكن ذكرها .

الاطلاع على التراث العربي النقدي ، و الاستشهاد منه في كل القضايا النقدية التي يتناولها، حيث نجد ذكرا متكررا لأمهات الكتب النقدية لعلماء العرب في العصور السابقة و منها الجاحظ ، الجرجاني ، القرطاجني .....الخ ونجده في كل مرة يسقط ماجد في المناهج النقدية في قراءة التراث .

الاطلاع على النقد العربي وما يستجد به ،والقراءة الواعية له ، و الاستشهاد د منه ونجد ذلك ماثلا في تحليله لمقولات نقدية غربة، بخصوص القراءة في كتاباته وعلى رأسها رولان بارث الذي تجده يفرد له جزء من فصل القراءة وروبيراسكاربيت في سوسيولوجيا القراءة و الأدب وجاك دريدا في تناوله للتفكيكية .

أبعاد القراءة عند مونسي:

البعد الحضاري للقراءة عند مونسي: ينظر حبيب مونسي للقراءة كفعل حضاري و يستقي نظرته هذه من القران الكريم حيث" يتبدى البعد الحضاري عندما تتجاوز المكتوب إلى محيط العلامات و الرموز" [1]و في فعل التدبر و التفكر في ملكوت الله و خلقه، و تفعيل العقل و تنشيطه، ثم يضيف بان " العقل الذي يفكر و يستخلص من تفكيره زبدة الرأي و الرؤيا، فالقران الكريم يعبر عنه بكلمات عديدة تشترك في المعنى أحيانا و ينفرد بعضها بمعان على حسب السياق في أحيان أخرى، فهو الفكر، و النظر، و البصر، و التدبر، والاعتبار و الذكر و العلم و سائر هذه الكلمات الذهنية التي تتفق أحيانا من المدلول، لكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخرى، فهي حركات سلوكية تحركها إرادة لتغيير ما هو قائم بالفعل، و تجاوزه فيكون العقل أخيرا ليس مادة رمادية"[2] يخاطب القران الكريم العقل وفق أسلوب يدعوه إلى التأمل في العلامات الشاسعة و الأفاق البعيدة، فهو يحفزه وفق خطاب متجدد على النشاط و الديناميكية، و يرفض بلادته و انغلاقه، و هو بهذا الأمر يساعد في تفتح هذه الأخير، و استيعابه الواسع و انفتاحه على قراءة ما يحيط به، و ما يدور بالكون و الذات، و ينمي فيه بطريقة مباشرة ملكة القراءة و التأويل، و نجد هذا في الكثير من الآيات و في مناسبات عدة فقد احتفى القران الكريم بالعقل البشري و دعاه إلى فعل التأمل و التدبر و التحول إلى فعل القراءة لإدراك الذات و الحقائق المحيطة بها، و مساءلتها ضمن حالة اطمئنان للمرجع الديني و هو النص القرآني و الأمر الرباني، بينما يرى أن الأمر مختلف بالنسبة للغرب فقد كانت الكنيسة تمارس أساليب مقصودة لتجهيل العامة، و الاحتفاظ بحق القراءة لرهبانها و قسيسها فقط من خلال تدريبهم على الكتابة، و قراءة اللغة اللاتينية(لغة الكتاب المقدس) في محيط ضيق و مغلق

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص7
[2] المصدر نفسه، ص8

يناى عن العامة، و يسد أبواب النور أن تفتح في وجهها و لم تتعد القراءة المجال الديني فقط و هو ما يؤكده مونسي" غير أن الفعل القرائي ظل مقصورا على العامل الديني وحده لا يتعداه إلى مجالات الحياة العامة، فكان فعلا استهلاكيا لتعاليم الكتاب المقدس، و لم يكن تفكيرا حوله أو به." [1]

لقد عانى الإنسان الغربي من ذلك التضييق، و تلك الممارسات التي قامت بها الكنيسة من خلال أحكام إغلاق مجال القراءة و الكتابة على العامة، و احتفاظها بأسرار الكتاب لخاصتها من الرهبان و القسيسين، وباعتبار العقل البشري ينحو دائما إلى الاكتشاف و التغيير و عدم تقبل النمطية المفروضة، و رفض تلك الواسطة في تلقي النص المقدس، فقد ظهرت في التاريخ الأوروبي اتجاهات فكرية و نقدية رفضت تقبل هذا الجمود" كالمدرسة اللائكية التي ظهرت في فرنسا سنة 1882م و التي كان شعارها القراءة للكل كحتمية اجتماعية تظافر لخلقها نظام متشابك من الدواعي الفردية، و الاجتماعية، و الاقتصادية و الإدارية لتحقيق وظيفة القراءة تجاوبا و تعقيدات مجالات الحياة المختلفة، و ارتباطها بالمكتوب و الذي يخلص من الاستهلاكية إلى الإنتاج الفردي المنفلت من رقبة كل سلطة."[2]

فقد سعى الإنسان الأوروبي إلى كسب معارف جديدة، في مجالات مختلفة، و لم يكتف بتعاليم النص المقدس، هذه المعارف الجديدة التي تمكنه من مراجعة هذا النص و الحكم عليه وفق منظار منجدد، بالنظر إلى تلك الظروف التي كانت تفرضها الكنيسة فرضا، جعلته بعيش عصور الضبابية و الظلام، و هو ما أدى به إلى الثورة على تلك الأساليب و الطرق و انتقاله إلى مرحلة جديدة تكون فيها الذات مركزا تحول عليه القراءات. " فكان

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص16
[2] المصدر نفسه،ص16- بتصرف

الهدف بناء صرح قيمي خاص به يبنى عليه تصوراته و يجسد من خلاله رغباته"[1] و هو ما تجلى في تعدد القراءات التي ظهرت لاحقا في النقد الأدبي من نفسية، و سوسيولوجية، و بنيوية، و تفكيكية بما فيها

نظرية التلقي الألمانية، في حين نجد" القراءة العربية الإسلامية التي تدافع عن الجمال الفني و الأدبي، في صور معايير ربانية، و مقاييس شرعية كالاحتكام إلى الحق و الاهتمام بالخير، و العدل و الدعوة إلى الصدق، و العمل على تحقيق التناسب الفني و الجمالي و العمل على توفير التوازن الوسطي بين ما هو مادي و ما هو روحاني"

و بطبيعة الحال لن تتأتى هذه القراءة بهذه الميزات إلا إذا كان العقل المفكر يتحلى بصفات تسمح له باستنباط هذه القراءات، و هو" ما يتحدث عنه العقاد عندما يذكر ميزة الرشاد التي تسمو بالعقل حسب ما تقتضيه مواقف القراءة للموجودات و معانيها و إشارتها و دلالاتها و رموزها و هيئاتها، و لذلك تسعى إليها القراءة عبر قنوات تتمايز فيها بينها و تتجاوز و هي قنوات حددها النص القرآني من خلال فعل اقرأ" يتحدث مونسي عن فعل القراءة في ثنايا الطرح القرآني فهو يرى أن القران يدعو إلى قراءة الكون و العلامات وفق خطاب مباشر، حيث لا تكتفي القراءة بالمسطور و المكتوب فقط، بل هي دعوة اشمل من ذلك بكثير و تتجاوزه إلى " مظاهر الحياة تفصيلا، و تتبع مجالات التفكير مرة أخرى لتشمل عمليات التدبر، و التأمل، و النظر، و البصر و السمع و الاستبصار الباطني رؤية و رؤيا، فتكون هذه العمليات منوطة بالعقل و القلب على السواء يلتفتان إليها على التوالي لأدراك حقائقها و لاستنكاه جواهرها و ماهيتها ". كما يرى مونسي ان البعد الحضاري للقراءة يتضح من خلال النضر في القران الكريم ، حيث لتحسس الوجود وفهمه ، و افتتاح العقل على الموجودات ، و نجد تكرار مثل هذا الأمر في كثير من الآيات والسور ، وهذا ما يعطيه صغة الالزامية حسب مونسي ، قال مرموجه الى العقل بالدرجة الأولى ، وهنا يستشهد بما كتبه العقاد عن صغات العقل ، ويركز على صغة الرشد التي تتجاوز وضيفتها

[1] المصدر نفسه ص17

جميع الوظائف الأخرى للعقل حسب العقاد، فيناقش الفكرة و يرى أن هذه الصفة" لا تتأتى له (العقل) من ميزة فيه، و لكن من تضافر وظائف موكولة له يقوم بها حسب ما تقتضيه مواقف القراءة للموجودات، و معانيها و إشاراتها و دلالاتها و رموزها و هيئاتها، و لذلك تسعى إليها القراءة عبر قنوات، تتمايز فيما بينها، و تتجاوز و هي قنوات حددها النص القرآني من خلال فعل اقرأ"– [1] و بالنظر إلى الأمر الرباني للإنسان بالقراءة و التدبر فان العقل البشري ينفتح على محيطه و ما حوله، على ذاته و على غيره ليقوم بقراءة الوجود، في ظل تضافر مجموعة من الآليات، التي تنتج لنا ذلك الفهم و الاستنباط فالفرد المسلم ملزم بالتدبر، و التفكر بأمر الهي مباشر، ورد صريحا في النص ألقراني و هو أول ما نزل به الوحي، و هو ما يدفعه إلى التأويل الذي لابد له من منهج لان: " كل تأويل ينطوي على تحديد ما في الرؤية و المنهج" [2] ثم ينتقل مونسي للحديث عن فعل الخلق الذي قرنه بفعل القراءة بعد أن يصبح العقل في حد ذاته فعلا تسوقه إرادة المعرفة و حب الاطلاع" لتحصيل الجديد و تقييده، و لا يكون له وجود فعليا إلا إذا ارتبط بالعمل" [3]

و هذا مصطلح جاء بهم ونسي فقد مثل فعل القراءة بفعل الخلق، و ربما كانت هذه الفكرة عنده بسبب ما يشترك فيه الفعلان من صفة الإنتاجية، و كما هو معلوم أن فعل القراءة اليوم قد أصبح فعلا إنتاجيا لدى رواد التلقي، تجاوز ذلك النمط الاستهلاكي البحث و بالمقابل فان في تدبر العقل و أعماله في الكون و الذات، نوع من خلق رؤية جديدة لا تكتفي بما هو ظاهر، بل تتجاوز ذلك إلى ما هو ابعد، فالعلامات و دلائل الخلق و معجزاته تحفز العقل البشري على خلق رؤى جديدة، في كل مرة يقترن هذا العقل بإرادة القراءة و التدبر، و السعي إلى فهم ما يحيط به.

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص8
[2] علي حرب، التاويل و الحقيقة، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع بيروت،ط2، 2007،ص166
[3] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص9

و يشدد مونسي على ما سماه فعل الخلق و الذي ليس إلا امتدادا لفعل القراءة و هذا" استمرار حضاري خصب، تؤطره القيم الموطدة(باسم ربك)" [1] و كما هو معروف فقد" كانت القراءة العربية الإسلامية سابقا، تقوم على المنهج التجريبي في انطلاقها من النظر، و التعقل و التدبر و العمل"[2]

يطرح مونسي مجموعة من التساؤلات بخصوص القراءة العربية الإسلامية دون الإجابة عنها و منها:"إذا كانت القراءة العربية استكشافية كما نصف فأين هي انجازاتها؟ هل ما ورثناه هو كل ما حققته؟ من الذي صرفها عن وجهتها أو استنزف طاقتها؟ [3]

للإجابة عن هذه التساؤلات وجب العودة إلى قراءة هذا التراث من جديد ،بصورة تمد جسور ، التواصل و لاتقطعها ، لتنفتح أفاق التأويل من جديد في ظل مساولة هذه النصوص و البحث عن الذات فيها ، وهو مايهب إليه على حرب فيقول :" في تأول التراث ، إنما يتناول المؤول نفسه في الحقيقة فيصبح المؤول و المؤول واحدا ، وإذا كانت المعرفة نفترض المجاوزة و الغايرة ، مغايرة الذات لذاتها ، فلامحيص لمن ينضر في التراث من أن يقع على مسافة من موضوعه ، أي من الانثقاق و المجاوزة و القلق والمغايرة ذلك أن المؤول إنما يباشر النص تيقص معناه ، عبر الأحوال التي يشهدها و الأطوار التي يمر بها والمقامات التي يبلغها ، فهو يعود إلى الأصل بعد أن يكون قد انفصل عنه انفصال ماويرتد على التراث ،بعد أن يكون قد غايره مغايرة ما ، وبذلك يجدد فهمه له ، ويجدد الفهم نفسه " [4]حيث يختلف التأويل بحسب موقع المؤول من التراث وطبيعة علاقته به ويتحدد تبعا لهذه العلاقة ، ويضيف مونسي أن "العقاد و من خلال كتابه

[1]حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص9
[2]المصدر نفسه ص13
[3]المصدر نفسه ص12
[4]علي حرب، التاويل و الحقيقة ص15

التفكير فريضة إسلامية يورد قصة تاريخية عن اعتراض القراءة الإسلامية من طرف بعض الكتب اليونانية القديمة التي جلبها احد الخلفاء العباسيين، و هو خالد بن برمك من بلاد الروم، و وضعها بين أيدي المترجمين، و العلماء العرب و كيف جرت و بالافارتدت إلى ماضوية شان القراءة الغربية في عهودها الأولى" [1] و هذه قصة كما ذكر قد تصح أو لا تصح لكن الواقع في الأمر أن هذه القراءة اليوم تكاد تكون راكدة، إلا من بعض المحاولات من هنا و هناك، و هو الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل عن الأسباب الحقيقية و الواقعية التاريخية التي جعلت هذه القراءة، التي خلفت في عصور ازدهار الأمة دفقا تاريخيا لا ينضب تنحصر اليوم، و تقف موقف المتلقي فقط لا الفاعل كما كانت في السابق؟

و إذا ما عدنا إلى فعل القراءة عند مونسي نجد أنها تقابل التفكير و تقوم بتفعيله، و لا تكتفي بقراءة سطحية عابرة فقط، بل تتجاوزها إلى الكون عامة متتبعة" لمدارات العلامة الشاسعة في احتوائها للكون جملة و لمظاهر الحياة تفصيلا" [2]

لقد كان للنص القرآني كما ذكرنا آنفا، الفضل في تنشيط العقل العربي المسلم و حثه على التأمل و التدبر و التفكر، حيث فجر الإسلام طاقات جديدة و اوجد فضاءات واسعة للقراءة و الكتابة.

البعد المعرفي و اللساني للقراءة عند مونسي:

يتجلى البعد اللساني و المعرفي عند مونسي في فكرة المطابقة التي يرى أنها تحدث بين الكتابة و القراءة، حيث تعتبر الأولى تشكيلا خطيا و الثانية هي تحقيق ذلك التشكيل و فهمه، و تأويله و ترجمته إلى فكر و محاورته، و يستشهد بما يقوله غاستون باشلار في مطابقته بين الكتابة و القراءة حيث يقول" إن كل قارئ متحمس للقراءة، يكبث في ذاته من خلال الفعل القرائي رغبة الكتابة...فلذة القراءة انعكاس للذة الكتابة، و كان القارئ طيف

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص12-13
[2] المصدر نفسه ص 7

الكاتب" [1]فمن المعروف في تاريخ الحضارات و الأمم السابقة أنها حاولت تخليد مآثرها و معارفها بالكتابة و الرسومات التي وجدت بعضها على الألواح الحجرية، وجدران الكهوف منذ حضارة بابل و الفراعنة و غيرها، و في هذه السلوكيات محاولة للحفاظ على النصوص، و الرموز و القراءة، و المعرفة و التواصل، فالكتابة فعل إنساني الغاية منه إثبات الوجود، و لا يختلف اثنان على ان النصوص المكتوبة حافظت على بقائها أكثر من الروايات الشفهية، التي تتعرض للنسيان و الزيادة و النقصان و التحريف الروائي، حيث يصمد النص المكتوب من جهته في وجه الزمن، حتى" إن القارئ يتمكن من الاستماع حتى اليوم إلى خطابه يمكن المكتوب القراء من رؤية شيء آخر في النص غير مشروع المؤلف" [2]

يمكن القول أن الكتابة تمنح النص بما يحمله من معاني عمرا جديدا ، و التي يبقى من اختصاص المتلقي البحث عنها، و الوصول إليها عن طريق" فعل القراءة و هي التي تعتبر نوعا من الإدراك الوعي، الذي يتوجه به القارئ إلى المادة المقروءة أي النص، هي شكل من أشكال تفاعل الخبرات الإنسانية التي يمتلكها القارئ مع الخبرات الإنسانية التي لدى

المؤلف ، من خلال نص مكتوب ، أيا كان شكل هذا التفاعل ، وأيا كانت معاييره ،فحيثما وجد هذا التفاعل المثمر بين الخبر المختزنة في النص وخبرة المتفاعلة معه وجدت القراءة" [3]يمكن القول إن الكتابة إستراتيجية إنسانية مهمة سعى من خلالها الإنسان الأول إلى معرفة نفسه وما يحيط بها في الكون الواسع ، وهي بطريقة غير مباشرة ناتجة عن تفعيل العقل في التدبر ، والتفكر ، والنظر، وقراءة الوجود ،حتى وإن كانت في بداية المر لا تتعدى بعض الرموز .

[1]حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص13
[2]قنسان جوف، القراءة،تر: سعاد التريكي، جلال الغربي، محمد الهيسي، دار سيناترا المركز القومي للترجمة، تونس،ط1، دت، ص27
[3]عبد الرحيم الكردي، قراءة النص، مكتبة الاداب القاهرة،ط1، 2006،ص8-9

إن العلاقة بين الكتابة والقراءة ، علاقة وطيدة ومتداخلة ، بل قد نعتبرها وجهان لعملة واحدة ، وهو مايراه مونسي في قوله : " إذا استعرنا التعبير السويسري لوصف حقيقة القراءة، نقول أنها تؤلف مع الكتابة وجهين لورقة واحدة يصعب فصلهما بل يستحيل"[1] فالبحث عن المعنى يكون بالقراءة، و يتم تقييده بالكتابة، و الوسيط بينهما ذلك النص الذي يحمل بالمعاني التي تحفظها الكتابة، و يسعى المتلقي إلى إدراكها بالقراءة التي لن تغدو إلا آلية لتفكيك المكتوب، لكن السؤال المطروح هل النص المكتوب محدود المعنى؟ و هل تكتفي القراءة بما هو مكتوب؟ أم تتجاوزه إلى ما هو اشمل و أوسع؟

لا يمكن أبدا أن يكون محدود المعنى، و خصوصا من منظور التلقي لأنه" لا قراءة تقبض على حقيقة النص، لان النص ليس بيانا للحقيقة، بقدر ما هو ساحة للتباين و التعارض" [2] و يمكن أن يشحن النص بمعاني واسعة، قد تتجاوز قصدية المؤلف و يبقى على القارئ الوصول إلى هذه المعاني، سواء وافقت قصد المؤلف أو تجاوزته و هو أمر يعود إلى خبرات القارئ و مخزوناته الثقافية و المعرفية.

إن مفهوم القراءة بنظر على حرب واسع، و الغاية منها اشمل من المتعارف عليه و هي تغيير العلاقة بالحقيقة، و التي تسمح بفهم ما ستصعب على تفكير و نلحظ هنا توجها فلسفيا عند علي حرب فيما يتعلق بهذه العلاقة بين القراءة و الحقيقة حيث يعتبر منفذا للثانية، بينما يرى مونسي ان القراءة هي معرفة الإنسان لذاته و حقيقتها و علاقته بالموجودات، و أعمال للفكر من خلال تفعيل التفكير إلى" تجاوز الخط و الكتابة المشروطين بحيز ضيف و محدود، إلى مدرارات العلامة الشاسعة في احتوائها للكون و لمظاهر الحياة تفصيلا" [3]فهو يتحدث عن التفكير كحاسة تتجاوز الكتابة إلى التفكير في العلامات الشاسعة و يفصل فيها و يعود مرة أخرى للاستشهاد

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص13
[2] علي حرب، التاويل و الحقيقة، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت،ط2،2007،ص7
[3] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص7

بالنص القرآني الذي اوجد حسبه " فضاء جديدا من التعامل بين النص و المتلقي، حقا لم يخرج النص المعجز عن كلام العرب و لكنه ليس امتداد له" [1]

يرى مونسي أن القراءة هي الانجاز الفعلي للنص، و إن القارئ هو الموقع على شهادة حياة هذا النص حيث يقول:" قد ترتب عن تداخل فعلي القراءة و الكتابة اعتبار القراءة الانجاز الفعلي للنص" [2] و من المعلوم أن التشكيل الخطي للنص يحمل بعبارات و أفكار.

و إشارات يرسلها المبدع إلى المتلقي، عن طريق هذا النص ، و يتم استقبال و تلقي هذه الإشارات عبر عملية القراءة، التي يسقط فيها هذا الأخير(المتلقي) محمولاته على هذا النص فيتحقق وجود العمل الإبداعي فعليا، و هو ما نبه إليه مونسي من خلال فكرة تفاعل الذات مع الموضوع، و هي فكرة تعود بالدرجة الأولى لرواد نظرية التلقي و قبلهم أصحاب النظرية الظاهراتية كانغاردن وهوسرل. حيث يشير الى هذا التفاعل بين نص القارئ و نص المبدع.

يعتبر مونسي القراءة" عراكا مستمرا بين ذاتين تتساكنان و تختلفان في آن"[3] و يفصل في تلك التجربة التي يخوضها القارئ حين يتلقى هذا النص أو ذلك، فيعتبر ردة فعل هذا الأخير نوعا من التفاعل، قد يتطور إلى محاكمات بينه و بين المبدع عن طريق اللغة الواصفة التي كانت الوسيلة لذلك و حين يتلقى القارئ النص فانه لا يتلقاه دائما بصورة ايجابية أو سلبية ثابتة، حيث نلمس نوعا من التغييرات الدائمة و غير المستقرة في تلقي النص، فحين" نقرا النص و تساب مع خطيته أحيانا على فقرة كاملة ثم فجأة تعثر على شيء ما مزروعا فيها غير متوقع، فتحدث الرجة التي تنبه القارئ و تنفض عن العقل خضوعه و تخديره، فتلفته إلى أمر أسلوبي خطي أو نحوي أو تركيب يثير

[1] محمد المبارك، استقبال النص عند العرب ص14
[2] حبيب مونسي، ص15
[3] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص14

دواخل النفس و يرغمها على مساءلة ذاتها و مراجعة مادتها، إنها أفعال غير بريئة يعتمد إليها الكاتب و هو ينتهك القواعد لإحداث الرجة المأمولة و التي تضمن له حضور القارئ في نصه و الطريقة التي يجب ان يلتفت بها القارئ لعلامته"[1]

يشير مونسي الى قضية مهمة و معروفة عند رواد التلقي، و هي قضية ما يسمى بأفق الانتضار عند المتلقي، هذا الأفق الذي يستجيب سواد ايجابيا أو سلبا لما يزرعه المبدع في ثنايا النص، من ما سماه مونسي بالمثيرات او إشارات النص، فيستمد حياته من عملية القراءة، و من ذلك التفاعل الذي يحدث بينه و بين المتلقي الذي يسبق عليه من ذاته و ثقافته و معارفه و مكوناته مرورا عبر اللغة التي تفجر طاقات لا حدود لها اكتناه هذا النص و اللعب على أدواره بالموازاة مع تلك الرسائل الضمنية، التي تكون مبثوثة فيه و يجب أن تكون هذه العملية متكاملة لأنه حسب ايزر ان "التركيز على تقنية الكاتب وحدها آو على نفسية القارئ، وحدها لن يفيدنا الشيء الكثير في عملية القراءة نفسها"[2].

كما يثير مونسي قضية أخرى سماها زمن القراءة والتي ترتبط بالمعرفة والمهمة المتخصصة للقاريء ، وهي قضية اثارها ياوس في معرض حديثه عن سيرورة تاريخ التلقي وتعاقبها عبر الزمن .

هذا الزمن الذي " يراعي فيه تحولات القيم الشعورية ، والأسلوبية ، والظرف والمحيط وكلما تباعد الزمان كلما غدت مهمة القارئ مهمة متخصصة تدرك الفوارق الجوهرية من خلال التطور اللساني والأدائي للغة "[3]

[11]المصدر نفسه،ص14
[2]فولفغانغ ايزر، فعل القراءة،ص12
[3]حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص16

إن زمن القراءة يختلف بمرور الوقت ، فتتغير القيم والضروف المصاحبة له هذا بالموازاة مع تطور اللغة ونموها ، مما يساهم في تغيير أفق انتظار القارئ الذي تغدو مهمته متتخصصة ، وهذا برأي مونسي " ليس تقييدا للفعل الابداعي المتجدد للنص بقدر ما هو حيطة منهجية ، تقتظيها أمانة الفعل القرائي وعدم التقول على النصوص"[1]

ثم يقارن بين أهمية القراءة و الكتابة ، وهو الذي اعتبرهما وجهان لعملة واحدة لايمكن فصل احدهما عن الأخر ، فيشه النص الذي تلقيه الكتابة بالجثة الهامدة إن لم تتعهد القراءة بالتأويل و التفسير من دون ان تتقول عليه ، و هي فكرة أشار اليها مصطفى حسن سحلول في معرض حديثه عن القراءة كنشاط معرفي متخصص، حيث يشدد على أهمية جهد القارئ في تحقيق معنى النص المكتوب فيقول:" بعد آن ينظر القارئ إلى رموز الخط و بعد أن يفكها، يحاول عندها أن يفهم ما الأمر و عما يدور الحديث، إن تحويل الكلمات أو رزم الكلمات إلى عناصر ذات معنى يفترض أن يبذل القارئ جهدا كبيرا للتجريد".[2]

يعترض مونسي على فكرة أن الكتابة وحدها تشحن النص بالمعاني او القراءة

وحدها هي التي توجه هذه المعاني، فهو يعتبر الفعل الإبداعي متكاملا بين الطرفين، حيث تصطدم سلطة القراءة بسلطة النسق، و تبقى برأيه مهمة القارئ هي إدراك الأبعاد المجهولة في النص، و هو ما يطلق عليه مصطلح القراءة الواعية،و هي " قراءة واعية تدرك أبعاد المجاهل التي سترتادها في طبقات النص مسلحة بمعقولية صارمة، لان هدفها اقتناص المثير و تتبع حركة اللاوعي عبر النسيج الدال، فلا تطمئن لحظة للحكم و الاسترسال ما دامت تسير في حقل ملغم لا تؤمن عبواته و وعيها، إذ ذاك يجعلها قراءة مشروطة بمعرفة، لا تتأتى لها إلا من خلال معاشرة النصوص و تمييز مستوياتها و أزمنتها"

[1] المصدر نفسه ص16
[2] مصطفى حسن سحلول، القراءة و التاويل الادبي و قضاياها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2000،دط،ص17

إن مصطلح القراءة الواعية، الذي يتحدث عنه مونسي في توضيحه لتلك العلاقة التي يفرزها تضافر فعلي الكتابة و القراءة على حد السواء، تجعلنا نتساءل عن بقية أنواع القراءة الأخرى، هل هي قراءات واعية أم مجرد قراءات عابرة؟ عندما يتصفح المتلقي كتابا فانه بطريقة أو بأخرى سيكون في حالة وعي ما دام انه يقوم بفعل القراءة، لكن يبقى أدرك أبعاد النص المجهولة يخضع لخلفيات كل قارئ و ثقافته و معرفته بما يقرا، كما ان زمن القراءة عند مونسي له دور محوري في إدراك معنى النص، حيث تختلف كل قراءة عن الاخرى في خلال تباعد الفترة الزمنية لنفس المتلقي و نفس النص، و هذه الفكرة كان قد تناولها استاذه دبد المالك مرتاض في رده على 'غريماس' و 'كورتيس' حيث يقول : "ذلك مالمحتاه في رد عبد المالك مرتاض على غريماس وكرتيس ، حيث اعترف غريماس بتعدد القراءات في النص الواحد من خلال ايزوطوبياته المتعددة و نفى جمعانية القراءة بمعنى تعددها للنص الواحد".

إن التوجه التراثي عند عبد المالك مرتاض واضع في استشهادها بتعدد القراءة لقصائد المتبني ، والتي يعتبرها قراءة جمعانية ويرفض تحز فعل القراءة وهو نفس التوجه الذي ينادي بهم ونسي تاسيا بأستاذه مرتاض ، حيث تبدو لنا ملامح توجه التراثي في كل مرة يعود إلى التراث العربي النقدي و يحاول الاستشهاد به و في دعواته ل لتأصيل.

يرى مونسي أن تزاوج مقصدية الكاتب، و غرضية القارئ يكون عبر لقاء تتحول فيه اللغة من مجرد كلمات، ننطقها اثناء فعل القراءة إلى فعل تحقيق و انجاز يمارس من خلاله المتلقي دوره في استقبال، و تلقي النص و هذا" ما يولد أثرا"[1] شبهه مونسي" بنطفة أمشاج بين القارئ و الكاتب، يشتركان في إيجادها بتزاوج مقصدية الكاتب و

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص18

غرضية القارئ فيكون اللقاء وسطا بين هذا وذاك" [1]هذه العلاقة التي تحدث نوعا من" التوحد بين النص و القارئ بتحريك من القارئ لطاقتها المخبوءة، ليكتشف ذاته و رغباته و لذته" [2]

ما يمكن إجماله في نهاية هذا المبحث أن القراءة و الكتابة تشكلان وجهين لعملة واحدة عند مونسي، لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى و كلما اوغل المتلقي في البحث عن المعنى ذو أبعاد معرفية، يخضع لشروط التلقي، و يتدرج عبر آليات بناء هذا المعنى و التي تهز أو يرفضه و يستهجنه، و تتدخل في هذا عوامل إدراكية فتصبح القراءة فعلا واعيا كما ذكر مونسي.

البعد الذوقي للقراءة عند مونسي:

يحلل مونسي قضية المنفعة من القراءة، انطلاقا من مصطلحي اللذة و المتعة من الفكر البارثي حيث يقول: " قد يكون منشأ اللذة ذلك الصراع الذي ينشب بين إرادتين تتجاذبان النص، تشده الأولى من خلال فعل الكتابة إلى مقصديات متعددة، يثبتها الكاتب في جدل الدال و المدلول، و تسحبه الثانية من خلال رغبات القارئ، و هو ينتظر من النص أن يبادله (لعبا) تنبثق قواعده من تفاعل الدلالات و تضاربها في آن " [3]إن ما ينجز عن عملية القراءة هو نوع من التجاذب او التنافر بين قصدية المبدع و تطلع المتلقي حسب مونسي، و مكمن اللذة في مقاومة الأخر عند كل طرف منهما و فب تلك الفراغات التي يتركها المبدع، فتثير اهتمام و حفيظة المتلقي، حيث يرى رولان بارث " إن لذة القراءة تاتي كما هو معلوم من بعض القطيعات او بعض الصدمات فهناك سنن متنابذة بين(النبيل و الزقاقي مثلا) و أن هذه السنن ليدخل بعضها مع بعض في تماس" [4]

[1]المصدر نفسه ص18
[2]المصدر نفسه ص18
[3]حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر،ص18-19
[4]رولان بارث، لذة النص،تر: منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري،جلب، سورية،ط1، 1992، ص 29-28

إذا ما عدنا إلى مفهوم لذة النص عند مونسي فمن الواضح انه يتكئ على ما جاء به بارث، الذي استعار هذا المصطلح من علم النفس و يحيل لفهمه على مجموعة من علماء النفس، الذين لجا إلى كشوفاتهم للتفريق بين اللذة و نص المتعة و منهم جاك لاكان، و لوكير حيث يقول:" ثمة طريقة على كل حال، قدمها علم النفس للتفريق بين نص اللذة و نص المتعة، إن اللذة قابلة للوصف، و إن المتعة غير قابلة لذلك. "[1]

و يقر مونسي أن مفهوم اللذة قد ارتبط ببارث و عرف به، على الرغم من قدم المفهوم في النقد الأوروبي، لكن الجديد الذي جاء به هو ذلك المنظور الذي انطلق منه في معالجة مفهومي اللذة و المتعة في النص الأدبي انطلاقا من حقيقة الكتابة و القراءة"[2] .

نص اللذة:

هذا ما استدعى من مونسي التطرق لمفهومي نص اللذة، و نص المتعة عند بارث الذي يرى أن نص اللذة هو" النص الذي يرضي فيملا، فيهب الغبطة انه النص الذي ينحدر من الثقافة، فلا يحدث قطيعة معها، و يرتبط بممارسة مريحة للقراءة" [3] هذا النوع من النصوص الذي يصنفه مونسي ضمن " النص التقليدي- إن لم نقل كلاسيكي- الذي يقبل النقد" [4] هذا النص الذي يسميه التقليدي أو الكلاسيكي الذي اكتفى بالإشارة إليه، و التركيز على توفر اللذة عند قارئه أثناء تلقيه، بأنه يقبل النقد بالنظر إلى تجذر ثقافة المتلقي حيث يقرن لذة القراءة عند المتلقي للنص الكلاسيكي أو التراثي، بوجود محمولات معرفية و ثقافية عند هذا الأخير، تمكنه من التعاطي مع هذا النوع من النصوص، و الدخول معها في نوع من الحوارية أو ما أطلق عليه مصطلح اللعب" النص

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر،ص47
[2] المصدر نفسه،ص19
[3] رولان بارث، لذة النص،ص40
[4] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر ص19

الكلاسيكي(التقليدي) (نص اللذة) لا يقدم مادته إلا من خلال ثراء الفعل القرائي لدى القارئ و تعد ثقافته و خبراته النفسية و المعرفية".[1]

هناك عملية لتصنيف النصوص واضحة، انطلق منها بارث بالنظر إلى ما يترتب عن قراءة و كتابة هذا النوع أو ذلك، و هو ما نحاه مونسي كذلك، اخذ عنه لكنه يعود ككل مرة إلى الإسقاط على التراث عندنا، و هي ميزة اختص بها، حيث نجده يتحدث عن تلقي النص القرآني من طرف قريش، عند نزوله و يطرح إشكالية التصنيف، فهو ليس شعرا و ليس نثرا،" فتجاوزه السائد المؤسس كان مبعثا للصدمة و الرجة لطرحه مشكلة التصنيف و ثورته على النمط الموروث، بل بما قدمه من تصورات و فتح من افاق، و دعا الى تغييرات"، [2] و لا يمكن بأي حال من الأحوال تصنيف النص القرآني لانه كلام الله المعجز الذي يتلف و يتفرد عن باقي النصوص.

قضية الجناس الأدبية :

يتعرض مونسي بعدها لقضية تداخل الأجناس التي برأيه "تتنبأ بزوال التصنيف وضمور الجنس ، وتراجع التحديد ، إلى حدود الكتابة الأدبية"هذه النظرية التي تطرح إشكالية تداخل الأجناس الأدبية ، وانحسار أو لنقل اختفاء الحدود بين أنواعها ، بين الوارد جدا اليوم إن تجد الشعر مبثوثا في المتن الروائي ،كما ' لا يعبا الكتاب أن يقدم مشهدا مسرحيا حافلا بالحركة ، والأضواء ، والحوارات ولايتوانى غيره وهو ينقل خواطر النفس و تداياتها ،أن ينسجها على شاكلة النص الشعري ' هذا الأمر الذي ربما شكل ضبابية في الرؤية لدى المتلقي المتخصص ، فيما بالك يغير المتخصص لذلك " قد لايكون الجنس الحيلة للتصنيف لكن ضروري " هذه الضرورة في التمييز بين الأجناس الأدبية تفيد ' المؤلفين الذين يؤلفون كتبا ، لينزلوا منزلة بعينها ، من نموذج في الكتابة لدعمه أو لهدمه علي السواء ، أو للقراء الذين يودون تعرف سيمات القرابة في العمال التي اختاروا قراءتها '

[1] المصدر نفسه،ص21
[2] المصدر نفسه،ص21-22

قضيت تداخل الأجناس الأدبية ، التي يعتبرها مونسي قضية خطيرة ، لان المعرفة بالجنس الأدبي "تمكن من قراءة أجود ، وفهم أجود للنصوص ، بأحكام المفاهيم التقنية فتتيسر المبادرة النقدية ، ومؤداها الانتقال من شكل إلى معنى للتعرف على التحفة وتذوقها "

ان مناداة مونسي بضرورة احترام الجناس الأدبية ، والفصل بينها ، ربما يعود لوعيه التام بأهمية هذه القضية ، وما تطرحه من إشكاليات في تضيف النصوص ، مما يصعب على النقد عمله في تثمين الأعمال الأدبية في ظل هذا التداخل ، و الحقيقة أن هذا التداخل يوقع القارئ في لبس من الأمر ، حيث يستصعب عليه القبض على المعاني ،كان يكتب احدهم رواية يضمنها شعرا ، أليس هذا تشويشا على المتلقي في سيرورة القراءة والاندماج الكلي مع النص المكتوب ؟ ان تداخل الأجناس الأدبية يجعل من حاسة التلقي عند القاري " متذبذبة ، ولا يحافظ على الأنواع الأدبية كل بميزاته وخصائصه .

نص المتعة :

يطرح مونسي تكملة لهذه الإشكالية ،قضية نص المتعة الذي يرى انه يتموضع"خارج الجنس، وخارج حدود الرأي السائد ، ويحدث في الصنيف ارباكا وخلخلة"

وقبل هذا المضي في تحليل هذا الرأي وجب العودة قبله إلى رأي رولان بارث . بما ان مونسي يأخذ عنه نفس المفهوم . في تعريفه لنص المتعة الذي يرى انه " هو الذي يجعل من الضياع حالة وهو الذي يحيل الراحة رهقا ، ولعله يكون مبلغا لنوع من الملل ، فيسنف بذلك الأسس التاريخية ، والثقافية ، والنفسية للقارئ نسفا ، ثم يأتي إلى قوة أذواقه وقيمه وذكرياته فيجعلها هباء منثورا ، وانه ليضل كذلك حتى تصبح علاقته باللغة علاقة ازمة " فنص المتعة عند بارث هو نص مفتوح ، لايعبا ولا يخضع للتصنيف كما ذكر مونسي ، انه نص يفتعل أزمة للملقي ، ويصدمه غالبا ، ويؤزم علاقاته باللغة ويضعه في موضع الشك في خبراته التي تخضع لمرجعيات مختلفة ،

ان التصنيف حسب مونسي يسمح للمتلقي بمحارة النص عبر" مرجعية بالمعطيات التقعيدية المختلفة انطلاقا من نوعية الجنس " و تتشكل معرفة الملتقي للجنس الأدبي من خلال مرجعيته التي تكون " سلطة تمارس فعلها في قراءته وسط بحر من المعطيات القبلية والتي قيدت الفعل الإبداعي كتابة وهي لان تقيده قراءة"

الحديث عن قضيتي أو مصطلحي نص اللذة ، ونص المتعة عند بارث ، وبعده مونسي في ضوء عمليتي الكتابة و القراءة معا ، يجعلنا أمام قضية تداخل الأجناس الأدبية التي تبحث في الحدود ، والتي أصبحت اليوم مفتوحة بالعودة إلى نص المتعة عند بارث ، وهو الذي يستبدل المدلول بالدال وفق سيرورة مستمرة ومتجددة ، حيث يرى مونسي : ان مثل هذا النص

نص المتعة . إذا يقبل السيرورة ، ويخضع لمنطقها التحولي المستمر يعلن ثورته على كل سلطة تحاول امتلاكه ، لتقيم عليه ضروبا من الحجز و الحصر للتقليص من انتشاره والحد من ثورته

إننا في زمن القراءة المفتوحة ، وهي التي تتمشى اليوم ونص المتعة الذي ينفتح أمام حدد غير متناه من القراءات عبر سيرورة المدلول ، الذي تحول إلى دال يتفجر مع كل قراة جديدة ، وهو النص الذي لا يقبل النقد بحسب مونسي ، في حين " يحيل النقد دائما عل نصوص اللذة ، ولا يحيل أبدا على نصوص المتعة

لكن السؤال المطروح هو إلا توجد علاقة بين نص اللذة و نص المتعة ؟ اليس نص المتعة امتدادا النص اللذة ؟ وهي ذاتها القضية التي يطرحها بارث ويساءل بهذا الخصوص : " إلا تكون اللذة سوى متعة صغيرة؟ والمتعة والمتعة الا تكون سوى لذة متطرفة ؟ أفلا تكون اللذة سوى ميعة أصابها الضعف ، فهي مقبولة و منحرفة عبر سلسلة من المصالحات؟"

يرى بار ثان الفارق بين اللذة والمتعة فارق في الدرجة وبهذا" يكون نص المتعة هو التطور المنطقي والعضوي والتاريخي لنص اللذة " ويمكن القول أن هذا التصنيف الذي يتحدث عنه كل من بارث ومونسي ، يطرح إشكالية

لدى المتلقي ضمن عملية القراءة في ضل هذا التداخل ، وعدم وجود حدود بين الأجناس الأدبية ، مما يضع هذا الأخير أمام حيرة التفريق والتميز بينها.

التحول من النقد إلى القراءة:

كان تركيز النظريات السياقية في دراستها للأدب، و بالأخص للعملية الإبداعية هو الاهتمام بالسياقات خارج الأدبية التي تحفل بالمبدع و محيطه و خلفياته و هو ما كان في الدراسات التاريخية و النفسية و الاجتماعية، إلى أن حدث ذلك التحول إلى النظريات النسيقية و على رأسها البنيوية التي قصرت اهتمامها على النص و جعلت منه مركزا فاهتمت بالعلاقات الداخلية التي تحكمه، و عاملته على أساس انه بنية مستقلة بذاتها و في هذا إغفال للمرجعيات الأخرى التي يمكن لها دور في أجاز هذا النص و تركيبه كذلك فعل أصحاب النقد الجديد و الشكلانيون من قبل، عند اهتمامهم بشكل النص و وظيفة الأدب على حساب الأطراف الأخرى، إلى أن جاءت مرحلة أخرى من الدراسة النقدية تمثلت فيما بعد البنيوية حيث ظهرت نظريات القراءة و التلقي و النقد الثقافي و التفكيكية التي كان في خط توجهها الانقلاب على البنيوية حيث تلخص بشرى موسى صالح هذه التحولات المنهجية في تاريخ النقد الحديث فترى ان: "ان العمر المنهجي للنقد الحديث ينطوي على ثلاث لحظات لحظة المؤلف، و تمثلت في نقد القرن التاسع عشر التاريخي، النفسي و الاجتماعي...ثم لحظة النص التي جسدها النقد البنائي في الستينات في هذا القرن، و أخيرا لحظة القارئ او المتلقي كما في اتجاهات ما بعد البنيوية، و لا سيما نظرية التلقي في السبعينات منه"[1]

ان الدراسات النقدية للادب كما ذكرت بشرى موسى صالح مرت بمراحل مختلفة كان التركيز فيها اولا على المبدع الذي يرى مونسي ان الحديث عنه لم يكن الا" من خلال وجهة نظر تاريخية ضيقة حصرته في السير الذاتية، و

[1] بشرى موسى صالح، نظرية التلقي اصول و تطبيقات، المركز الثقافي العربي،ط1، 2001، ص32

استأثرت به الدراسات في فلسفة الفن محاولة كشف اسرار العملية الابداعية من خلال ثم ااغرقته في الأوصاف التيتتارجح بين قطبين تجعله ذاتا مشرقة منفصلة عن الواقع تتمتع بمعرفة كلية...او ينهض بواجباته كانسان، و ينظر الى الفن باعتباره رسالة بل عليه ان يمارسه كواجب مقدس[1]"

ثم النص الذي اهتمت به البنيوية ايما اهتمام فاعتبرته اساس العمل الادبي و ركزت على دراسته ايما تركيز في حين اغفلت بقية العناصر الاخرى، و اخيرا القارئ الذي جاء الاهتمام به من قبل نظريات التلقي و التفكيكية حيث يعقد مونسي بينه و بين المبدع مقارنة من حيث المنظومة القرائية التي ينطلق منها كلاهما فيضيف" اذا كان المبدع يصدر عن منظومة فكرية–خاصة به– ذات تشكيل معقد غالبا تصنعه تقاطعات شتى بين الديني و الاسطوري، و الاجتماعي و النفسي و الثقافي و التي تؤثث المنظومة الابداعية و تعطيها صيغة التفرد، فان الشان عينه عند القارئ، يقابل به الاثر الفني و كل القراءة انما تحمل في ثناياها كثيرا من التقاطعات ذات المفعول الخفي في نتائج القراءة" [2]

لكن من المبدع و القارئ حسب حبيب مونسي الخلفيات التي ينطلق منها، الاول في الكتابة و الثاني في القراءة، و هي خلفيات ربما وجدلها تقاطعات تؤثر على منحنى الابداع عند المبدع و تحقق تميزه كما تؤثر على عملية القراءة عند المتلقي و توجه قراءته، و هي عمليات معقدة في حقيقة الامر على عكس ما تبدو عليه للوهلة الاولى خصوصا تحت عباءة ما بعد البنيوية و اذا عدنا الى ما يطبع الابداع الان من غموض، و الذي" يمنح النص مجالا واسعا فضفاضا تسكنه الامكانات و الاحتمالية، و هي قيمة يسعى كل اثر فني الى تحقيقها قبل اي قيمة اخرى ما دام المبدع يدرك ان الملفوظ اللساني يخون رؤيته و لا يتسع لها، و ان الوسيط الذي يستعمله وسيط ملوث، مرهق يرزح تحت ثقل السنين و ان الكتابة في حد ذاتها تعرية و ارهاق للفكرة، فانه لم يعد امامه الا الغموض

[1] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكاليات المعنى(من المعيارية الى انفتاح القرائي المتعدد) دار الغرب، وهران، دط،دت، ص136
[2] حبيب مونسي/ فلسفة القراءة و اشكاليات المعنى ص137

الذي ينحته من اللاقطعي و الفوضوي، و و اللامحدد حتى تغيب حدود الاشياء و تتلاشى كثافتها، فلا تقدم حيال التلقي الا اشكالا متداخلة تتماهى دلالاتها و تغيم باستمرار" [1] و هو ما ينعكس على القراءة التي غدت اليوم" اشبه شيء بقراءة الفلاسفة للوجود و انفجرت حدود النص فغمرت القارئ في اطار و ابتلعته كلية" [2]

طالما بقيت القراءة جسية لمازقها الاشكالي، فهي عملية صعبة تقتضي وجود ثقافة واسعة شاملة في مقابل النص الذي يحمل بمحمولات دلالية، و تركيبية و نحوية فهي

تنطلق من موقع اختلاف مع هذا النص، و ليست تماهيا تما معه، على الرغم من ان هذا الاخير لا يكتفي بقراءة واحدة بل ينفتح على كم لا محدود من القراءات غير المحدد مسبقا

ان التحولات التي عرفتها الدراسات النقدية في ما يسمى ما بعد الحداثة، جعلت من الادب باعتباره مصدر للدراسة مجالا للايغال في الغموض و اللاتحديد حتى" غدا تعريف الادب ذلك النشاط الذي لا يمث للحقيقة بسبب، و لا يحمل قيمة مهما كانت، الا قيمته هو كوجود وحسب، و لا يخضع لمعيار مهما كانت السلطة التي تقف وراءه"[3] و غدا معه النقد في مسالة اطاحت تقريبا بمعاييره، و هي الحقيقة و القيمة و المعيار، و جعلت من الحديث عنها حسب مونسي مما " يستثقله التفكير النقدي المعاصر و يدعوا صراحة الى الانتهاء منه" [4]صار هذا حال النقد الذي تحول اليوم الى قراءة بعد ان كان " من الاصداء التي تلتقط خلف حفيف لفظ النقد صدى الحكم و المعيار، و كان المتصدي لهذه الغاية يقف في منطقة بين الطرفين فلا يمر ضيع هؤلاء الى هؤلاء الا عبره و بمباركته، فهو بذلك يمثل صورة فريدة متميزة يطمئن الى عدلها و نزاهتها و اقتدارها و رهافة ذوقها الطرفان و هي وظيفة تضارع وظيفة الشاعر الازمنة المتقدمة او وظيفة الكاهن في الاخرى قبلها، بيد اننا ما زلنا اليوم نستشعر فيه

[1] المرجع نفسه ص201
[2] المرجع نفسه ص164
[3] حبيب مونسي، فلسفة القراءة اشكاليات المعنى ص4
[4] المرجع نفسه ص4

هذه الميزة فنقبل على ما خطت يداه، نستحسن، و نستهجن ما يستهجن ، و قد نتهم اذواقنا لنقدم ذوقه و تعتد به، الا ان ظهور المنهج، و المرجعية، و الانتماء الايديولوجي، و الموقف الجمالي عكر ذلك الصفاء و لطخ نصاعة ذلك الثوب، و تحول الناقد ببطئ الى خادم طيع في يد هذه الفلسفة او تلك و التي صاغته بحسب هواها و قيمتها، و سواء اعلن الناقد انتماءه ان تركه للقارئ يكتشفه عبر المقولات و المفاهيم، فان عملية النقد في جميع احوالها لا تخرج عن كونها تحليلا و تفكيكا للاثر.[1]"

يحن حبيب مونسي الى زمن النقد الذي يحتكر الى المعايير التي يبني عليها احكامه حيث يتحدث عن زمن، كان فيه الناقد الوسيط بين المبدع و المتلقي و محرك الاعمال الابداعية و مثمنها، قبل ان تفتك به مقولات المرجعية و الانتماء الايديولوجي و الموقف الجمالي كما ذكر، و هناك نتساءل هل حقيقة يمكننا ان ننفي الانتماء الايديولوجي للناقد في اي زمن كان؟ و هل يصدر الناقد نقده بمعزل عن تدخل لمعايير ذاتية قلت او كثرت؟

يطلق مونسي على الناقد لقب القارئ الممتاز في معرض حديثه عن مطانته في الدراسات الغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر، و التي ظلت تعتقد ان" وظيفة الناقد (القارئ الممتاز) هي التوسط بين الاثار الفنية و الجمهور، فهو الذي يقرا لها و يدلها على مواطن الجمال و الجودة فيستاثر بالاذواق و يوجهها حسب ذوقه و رؤيته الخاصة و من خلال اخلاصه الى جملة المعايير السائدة و تلك مهمة تتلخص في الرجوع القهقري الى مرجعية الاثر الادبي و استنطاقها ورد النص عن طريق التاويل اليها" [2]هذه الارضية التي كان الناقد يقف عليها تزحزحت من تحت قدميه بحسب تودوروف فغدا الناقد الجديد"ذلك المخلوع الذي فقد طل حقوق المواطنة و القرابة و الدم، و اضحى منبتا لا يجد ارضا و لا اهلا لان النقد ليس نشاطا مسالما موادعا، يتجنب الثوابت و يستحيل ان يتساءل عن كلام دون معرفة انجازات اللسانيات و التحليل و النفسي، و يستحيل ان نتوقف عند هذه الانجازات دون ان

[1]المرجع نفسه ص133-134
[2]حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكاليات المعنى ص263

ندمجها في فلسفة عامة للانسان...و اخيرا تلك هي الجريدة التي جعلت النقد الجديد كلما استبعد اجتماعيا، كلما امعن في المساءلة و الحفر في اعماق التشكيل المعرفي، و الفلسفي و العلمي لليقينيات الكبرى التي يرتكز عليها المجتمع.

لقد حاولنا استقصاء هذا المفهوم عند مونسي من خلال الوقوف على مجموعة من مؤلفاته في هذا المجال انتهاء الى مدونة البحث، و هي نظريات القراءة في النقد المعاصر حيث يرى: " ان عملية التحول من النقد الى القراءة ليست نزوة حداثية بسيطة، و انما يقوم التحول على تحولات الحقيقة، و القيمة و الفن و الادب عبر تحولات الرؤى الفكرية و العلمية التي انتهت الى الزوال الحقيقي للقيمة و الحقيقة من جانب، و زوال المعيار و الحكم من جانب الاخر، و الى الخيبة الكاملة من جانب ثالثا لان الذات رات انه لا يمكن تعليب العالم، و ظواهره المادية و المعنوية في قوانين صارمة، و ان محاولات الانسان لانشاء منظومات فكرية متعلقة بتفسير الوجود، قد باءت بالفشل الذريع، و لم يبقى امام الانسان الذي تتهدده افكاره الا قراءة تحتل فيها الذات مكانة المتذوق و المؤول في ان واحد"[1]

يربط مونسي بين التحول من النقد الذي يعتمد على القيمة و الحكم و المعيار الى القراءة المفتوحة على تعدد المعاني و التي تتوسل التاويل الذي قد يكون لا محدودا و لا نهائيا للنص، و بين تطورات الحياة و ما تفرضه حاجات الانسان المعاصر الى تحسس ذاته و مكانته و جعلها موضوعا ترتد اليه الطبيعة و الكون ما يجعلها منطلقا لتفسير الظواهر و وعيه بها بعد ان باءت تلك المنظومات الفكرية المتعلقة بالفشل كما اسلف، و يضع حدودا بينها و بين التاويل و يرى انه" يجب الفصل بين القراءة التي تنتمي الى كشف اليات المعنى و التاويل الذي يتجاوز حدود الزمني" [2]

[1] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكاليات المعنى ص25
[2] المرجع نفسه ص77-78

يرى مونسي ان " القراءة ظاهرة زمنية مشروطة باستعمال يتداوله الذوق و العرف و الاستخدام الشائع بين الناس[1]"

بينما يقوم النص كعامل ربط بين هذه القراءة و التاويل حيث يقول:" النص في انفتاحه المعنوي على فاعلية التاويل مجال للحركة الدائبة جيئة و ذهابا، و ليس النص اخيرا الا نقطة لقاء بين قدرة التعبير و فاعلية التاويل التي تاخذ حجمها الفعلي مع كل قراءة و مع اقتدار كل قارئ" [2] و هي الفكرة التي سبق و ان اشار اليها ايزر في قوله" يتجاوز التاويل القراءة لتفسير و تحليل مقولات النص انطلاقا من توظيف اللغة من طرف المبدع و مقدرته على ذلك الانتقاء و التوظيف" في حين" تتوسل القراءة التاويل حاسة شديدة الدقة و الفاعلية لتلمس الاغوار التحتية لطبقات النص، و التي تتسرب بعيدا عن السطح في تلافيف رحم النص"[3]

ان الهدف المشترك للقراءة و التاويل هو البحث عن معنى النص، لكن الفارق بينهما حسب مونسي ان" للتاويل مرجعية يصدر عنها، و هي مرجعية تاريخية، توصي بالحذر و الحيطة" [4] لكن هذا لا ينفي ان للقراءة مرتكزات و استبنى عليها عند القارئ مهما يكن هذا القارئ و مهما تكن ثقافته و اطلاعه، فمن الاكيد انه لن يقرا هذا القارئ و مهما تكن ثقافته و اطلاعه، فمن الاكيد انه لن يقرا هذا النص او ذلك دون منطلقات معرفية قبلية، و بذلك فان للقراءة ايضا مرجعيات تنطلق منها، و يبقى التاويل اوسع من القراءة اما النقد فهو عملية تقوم على القراءة و الفهم و تستند لمعايير و ادوات منهجية لتعطينا احكاما عن هذا النص او ذلك يتضح مفهوم مونسي

[1] المرجع نفسه ص 77
[2] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكاليات المعنى ص206
[3] المرجع نفسه ص217
[4] المرجع نفسه ص217

للقراءة في قوله:" فعل القراءة يتجاوز مهمة الفهم الى الاكتشاف الانتخاب و اعادة التشكيل، و كلها خطوات تنصب على جملة الاثر، اي تصيب اركانه في ذات الان في تقاطعها و تفاعلها[1]"

و يرى مونسي ان القراءة اكتشاف و اختيار و إعادة إنتاج و تشكيل طبعا بمرجعية تؤول اليها و هي الأثر، و المقصود به النص و معناه أما إعادة التشكيل و الإنتاج فتعود إلى مهارة القارئ و محمولاته و مكتسباته اللغوية و الثقافية و الفكرية، و من المؤكد ان هذه القراءة من خلال هذا المفهوم سترتبط بمستى القارئ الثقافي و المعرفي، حيث نجد نفس النص يقرا من قبل عدة قراء، و قد يقرا القارئ النص الواحد عدة مرات فتختلف قراءاته عن كل مرة بمعنى ان لكل قارئ إنتاجيته التي تختلف عن قارئ آخر، و قد تختلف عند نفس القارئ عندما يتصفح نفس النص مرات متباعدة فكل واحد من هؤلاء القراء يعيد إنتاج المعنى بحسب مؤهلاته و مداركه و معارفه و ثقافته.

و في الأخير توصلت إلى أن مكانة النقد المعياري قد تزعزعت ، وتول النقد إلى قراءة مفتوحة وانعكس ذلك في المؤلفات والدراسات العربية أيضا .

حيث تصدرت العديد من العناوين كلمة قراءة او قراءات مثل سعيد يقطين في كتابه "القراءة والتجربة "، و عبد السلام المسدي الذي أطلق على كثير من أعماله مصطلح القراءة، وقد كان هذا عبر إعادة الاعتبار للمتلقي في نظريات نقدية منها نظرية القراءة و التفكيكية التي قامت على إستراتيجية رفض علمية النقد والشك في كل الأنظمة والتقاليد والقوانين ، هذا ماولد إشكالية مفهومية بين النقد والقراءة .

[1] المرجع نفسه ص184

الفصل الثانـي

المبحث الاول

كتاب فلسفة القراءة و اشكالية المعنى

يقول الناقد حبيب مونسي في مقدمة كتابه : فلسفة القراءة و اشكالية المعنى:(اذا كان الادب ومنه النص الادبي يحمل حقيقة يحاول الباحث تمثيلها في شكل من الاشكال الاسلوبية ال الرمزية او عرضها في ثوب فني مبتكر يحمله عنت البحث عن اللغة التي تساوفالموقف و تشحن حرارة اللحظة الابداعية وتحلق حول النص هالات من الدلالات تتمدد و تتجدد كلما تمددت القراءة و تجددت ادواتها و مبتغياتها

و اذا كان النص من وراء الحقيقة يخدم قيمة تتلون ارتباطاتها بحسب الاهتمام الفني الذي يرفد النص عبر الثقافة و التوجه و الاديولوجيا او الديني الفكري ...و اذا كان النص من وراء القيمة يخضع لمعيار ما يشكل حضوره الواعي او اللاواعي عند المبدع هاجسا يرقبه ويتوقع في جميع مراحل الابداع الفني...وسواء كانت الحقيقة و القيمة و المعيار من حقائق الماضي النقدي عند الغرب خاصة ،فان فإن فلسفة القراءة تتأسس على رصد التحوا الذي لحق كلا منهم على توالي الحقب... و كأن الحقيقة و القيمة المعيار سبب التعثر الذي عرفه تطور الادب الغربي)[1]

لقد احتاط الناقد حبيب مونسي بالابعاد النقدية لفعل القراءة تحت مجهر اجراءي تمثل فيه جميع الادوات لأن الإشكالية المطروحة في هذا الصدد تعتبر قضية هامة جدا ،بل تعتبر العمق الحقيقي لإشكالية الإبداع برمته

[1] حبيب مونسي ، فلسفة القراءة و إشكالية المعنى ص4

والمتتبع للخطاب النقدي الإجراءي داخل اسوار الكتاب يلحظ ذلك الزخم الهائل والمتنوع بين القراءة من جهة و المنهج من جهة اخرى ،بالإضافة الى مجموع القضايا التي شكلت لب الدرس النقدي عامة و العربي خاصة

اولا:المنهج:الوعي الفلسفي و الإجرائي:

اراد حبيب مونسي في هذا الصدد ان يبين لنا تلك الخلفيات التي احاطت و لازالت تحيط بالمنهج الذي نذكره دائما، ولكن لا ندري مادا نقصد به ،لانه ليس مقولة فارغة يمكن ان نشحنها متى شئنا ،لكنه وعي تلبس واقعا غربيا حر[1]

اما بخصوص الوعي الفلسفي فإنه . بحسب مونسي . يبنى على معرفة دقيقة بالحيثيات التي تصاحب الحدث المعرفي في تشكل اطواره وانبائه على عناصر و درجات التأثير و التأثر المتبادلة بينه و بين المعطيات المحايثة له ،وكا وعي يشترط لنفسه مثل هذا الإستقصاء يقدم للمعرفة حقيقة الاصول الإبستمولوجية القاعدية التي يقوم عليها الحدث المعرفي .

ولقد لفت الانتباه لان المنهج في تشكله عند الغرب لم يسلط الشرط التاريخي الذي افرزه ،ومن ثم تشبعت مقولات المنهج عند الرواد بتلك الإرادة الدفينة بتجاوز و تخطي الواقع الى وضعيات تتيح للفرد امكانية المفارقة و التباين،حتى يغدو الكون على شاكلته وفق مقاييسه الذاتية وتأكد الاعتقاد لديه بأن النظام العقلي هو عينه نظام الوجود الطبيعي، وأن كل شئ يمكن ان يدرك بالعقل.

[1] المصدر السابق ص14.

وقد امعن الوضعيون في نفس الميتافيزيقا من أجل إستبعاد الإفنولوجيا([1])التي اكدت وجود الله عزوجل ،وحدوث العلم وحريةالإدارة وخلود النفس وكل القبم ...وإنتهى بهم الأمر الى إعتبارها مرضا لغويا في العقل يجب الشفاء منه .

فإذا كانت الميتافيزيقا قد رفضت في العصور الوسطى لإنها تعارض الوحي ،واستخدام الفلسفة خدمة لحقائق الدين تحت اسم: "الاهوت وعلم الكلام"[2]

و هنا يظهر لنا "حبيب مونسي " فكرة التجاوز عند الغرب ، تجاوز الشرط التاريخي ، بل تجاوز إلى الذات، ورد كل شيء إلى العقل، ذلك (لان الفهم الفردي يخضع لمتحكمات خارجية زمانية او مكانية، وقد وجد "محمد ثابت الفندي"مثلا أن أفلاطون الذي يقدمه لنا مؤرخ مثل"ايميل بيرهيه" غير "أفلاطون" الذي يقدمه لنا "فستوجير"

فالأول عقلي ممهد لأرسطو، والثاني فيلسوف ديني ،تحتاج المعرفة عنده الى تطهير النفس من آدران الحس وذميم الأخلاق و أفلاطون "مورو"،فيلسوف فيثا غوري رياضي يرى الوجود مجرد علاقة كالعلاقات الرياضية او المنطقية، و لا شك انه يوجد أفلاطون بألوان أخرى يختلف باختلاف المؤرخين و منازعهم الشخصية و مشاربهم المعرفية.

و إذا تحقق الاختلاف في نعت شخص واحد يحده الزمان و المكان فكيف السبيل إلى توحيد القول في المحاولات المفسرة للوجود كله.

---

[1] علم تاريخ الحضارات .

[2] حبيب مونسي :فلسفة القراءة وإشكالية المعنى.

و قد حاول " مورو" تلخيص الموقف قائلا: إن أهم مشكلة للفلسفة هو إعطاء وصف عام للكون كله، و اعتقد أن كثيرا من الفلاسفة قد حاولوا بلا شك إعطاء وصف من هذا القبيل ، و إن إعطاء الأوصاف المختلفة التي قدمها الفلاسفة هي من أهم الفروق القائمة بينهم ، و المشكلة حسب ما يبدو لي خاصة بالفلسفة، فلا يوجد علم آخر يحاول أن يقول قولها".

و الملاحظ أن "مورو" يجعل من الفلسفة النشاط الوحيد المفسر للكون و الوجود".[1]

لقد تكلم "حبيب مونسي" عن المنهج مرارا و تكرارا. هذا الجبل الذي يخشاه قبل الوصول إلى قمته من خلال جل كل مؤلفاته ، فلقد(ارسى" فرنسيس بيكون" أسس المعرفة العلمية، حيث رفض كل معرفة لا تقوم على الاستقرار و التجريب، و دفع الاوهان و الأوثان القديمة في أذهان الناس، و كأنها مسلمات لا تناقش و لا ترد.

و يقوم الاستقرار – على النقيض من المقياس – على تتبع الجزئيات وصولا إلى الكليات و الارتقاء من الظواهر إلى النظريات و القوانين . و بين أن الاستقراء هو السبيل العلمي للوصول إلى القوانين العامة.[2]

و هنا يظهر لنا التدرج الواضح من اجل الوصول إلى الحقيقة بلاضافة إلى ربح الوقت و الجهد للحصول على المعرفة العلمية.

و يتأكد الإيمان باليقين العلمي مع "اوغست كونت " بالاعتقاد في قدرة المنهج العلمي على تفسير الظواهر و الأشياء و تقديم الإجابات عن الأسئلة المعلقة شريطة أن ينصرف البحث عن الغائبات و العلل ، فهو يرى أن : "كل العقول الجيدة تقر اليوم على دراستنا الواقعية مقصورة على تحليل الظواهر

[1] المصدر السابق،ص17،18

[2] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و إشكالية المعنى، ص:22

لاكتشاف قوانينها العقلية ، لان ما يدركه الإنسان هو الوقائع في تواردها الزماني و المكاني. أما العلل و الأسباب الغائية فهي بعيدة المنال لا تتحقق لأحد.[1]

كما أن هناك اعترافا صارخا بان " منهج البحث النقدي العلمي و منهج الكتابة الإبداعية(العلمية) واحد في كلا الحالتين، و انه لا فرق في التوجه العلمي الجديد بين مناهج العلم مناهج الدراسة الأدبية. و يشهد على ذلك توظيف" بلزاك" مصطلح" الوسط" بنفس الملابسات التي اكسبها إياه "تين" من قبل . و ما الكوميديا البشرية إلا استئثارا لذلك الفهم العلماني للوقائع و الظواهر و الوقائع الاجتماعية، و الذوات التي يحفل بها الوسط"[2] .

ثانيا:المنهج و تجليات السياق:

و ككل انتقال من سورة إلى أخرى كانت الدعوة العلمانية جد متحفظة، بل عرفت توجسا كبيرا لدى المفكرين الجادين ، و لم تحظ بالقبول و الترحيب، و عند ابرز دعاة الوضعية أنفسهم، بعد أن تبين لهم أن الإيمان باليقين العلمي سراب أخر ينضم إلى سراب الميتافيزيقا اليونانية.

و قد سجل "بن روبي" في تاريخه للفلسفة المعاصرة تراجع اب الوضعية العلمية "كونت" قائلا: " و في أخريات عمره كان يجد السلوان الجميل في قراءة كتاب : الاقتداء بالمسيح.

" وقد شرع شرح (برون تير) ابتداء من عام 1900م، فيا الانسحاب والتملص من العلمانية، وانتهى به الأمر إلى إنكارها مطلقا،عائدا إلى الكاثوليكية داعيا إليها، يحق لنا الاستهانة بقوة التيار الوضعي مادام بذوره قد أثمرت في نظرية المعرفة وتاريخ الفلسفة وعلم التربية. وكل هذه الميادين يسري فيها روح

[1] المصدر نفسه، ص22
[2] المصدر نفسه،ص28

الوضعية بدرجات متفاوتة .وذلك حق لا على مستوى المنهج فحسب،وإنما على مستوى المذهب ككل"[1]

ثالثا : خصائص الأدب (مثالي، مادي) :

أ–خصائص الادب المثالي :

يكشف استقرا الواقع المعرفي والفني في النصف الثاني من القرن العشرين استمرار نمطين من التفكير: مثال، مادي ،وان تلبس بخصوصيات عند كل مفكر ،و كان كل شاعر و كاتب و ناقد يسعى جاهدا إلى تمثيل قناعته المعرفية في المجال الذي ينشط فيه.

و إذا حاولنا تلخيص أهم السمات التي ميزت الآثار المثالية في الأدب ألفيناها في النقاط الآتية:

الأدب ثمرة عبقرية فذة، و مصدره الهام خاص غامض

الأدب تعبير عن ميول و آمال خاصة في أساليب و أنماط خاصة

الأدب يرشح بالتجريد و الإغراق في الضبابية و الغموض و الابتعاد عن الواقع

الوسيلة و الغاية متحدتان و الفن لذاته[2].

خصائص الأدب المادي:

يقول "هربت" في مقدمة كتابه(الفن و المجتمع) : " أن الفن ظاهرة اجتماعية تتفال مع الظواهر الاجتماعية الأخرى".[1]

[1] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و إشكالية المعنى،ص38
[2] المرجع السابق، ص43

فهو عند العلمانيين نشاط واع لا مجال فيه للخيال المجنح الغامض ، و قد يسهل علينا في هذا السبيل تمثل الأدب الناتج عن المادية في الخطوات التالية:

الأدب وليد الواقع المادي وليد المكابدة و هو نشاط اجتماعي.

الأدب مشارك ملتزم بالقضايا العامة

تدرك أصالة الأدب من خلال الرسالة الاجتماعية التي يحملها من خلال المسؤولية.

الأدب إفراز للصراع الذي يسكن المجتمع.

تلك هي الأطر العامة التي اضطربت فيها الآداب المادية: واقعية، نقدية، اشتراكية، طبيعية، و تعبيرية. و قد حاولت كل واحدة منها ان ترسم لنفسها وظيفة فنية و جمالية ضمن إطارها العام[2] .

رابعا: أصول التفكير النقدي:

إذا كان التفكير المنطقي يمكننا من تكوين أفكار منطقية مدروسة وقد يعرف بأنه القدرة على التحقق من الافتراضات أو الأفكار، فان التفكير النقدي " يمكننا بان نتأكد أن لدينا أسبابا وجيهة للاعتقاد أو لفعل ما يحاول الناس إقناعنا بالإيمان به أو حملنا على فعله" [3].

و من بين النقاد الذين عالجوا هذه القضية النقدية نجد " طه حسين" في أصول التفكير النقدي عند " طه حسين" و رؤيته الثقافية، فهو مثال للفردية التي تعددت جوانبها ، و تنوعت إسهاماتها الفكرية، و

---

[1] هربرت ريد، الفن و المجتمع، تر: فتح الباب عبد الحليم، مطبعة شباب محمد صلى الله عليه و سلم، (د،ط)، 'د،ت°، ص94

[2] حبيب مونسي،المرجع السابق، ص45

[3] تريسي بويل، و جاري كومب، التفكير النقدي، تر: عصام زكرياء جميل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2015،ص53

قد تميزت حركة الفكر عنده أنها تتشكل في مختلف أبعادها من تداخل تيارات متعددة ، و من ثمة زجها إلى تجسيد منظور له تشكيلته الخاصة، و صورته المتميزة بينما يرى " حبيب مونسي" أن أثار الجدل القائم بين التصورات المثالية و المادية قد لا تظهر في ثنايا الكتابات النقدية واضحة بشكل يلفت الدارس، إلى عمق و خطورة المسالة في عرضها لنموذجين من التفكير ، يبتغيان الوصول عبر سبل خاصة إلى الحقيقة. و إن كانت هي الأخرى مثار جدل في تحديدها قيمة و تعيين مصدرها مرجعا.[1]

كما لخص لنا الناقد مراحل انتقال الفكر عبر ثلاث خطورات جعلها كالأتي:

الانتقال من العصور الوسطى الى مرحلة النهضة:

أي من الفكر السيكولائي التكراري(المدرسي) إلى الفكر الذي بدا يصبح علميا و وضعيا و ترافقت هذه المرحلة مع " ميكافيلي" (1469-1527) ، و "ديكارت"(1596-1650) و تطورت رأس المال ، و ينسحب على القوانين الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين.

مرحلة حركة التنوير:

و كانت في القرن الثامن عشر ، و توجت بالثورة الفرنسية(1789-1799) و هنا تم اكتشاف حركات الفكر التي عبرت عن نفسها في هيئة إيديولوجيا التقدم، و قد أدى هذا الزخم إلى ميلاد الديمقراطية الفردية.

مرحلة الثورة التقنية: و تتميز بانفجار التقنية المتعددة في شتى المجالات

[1] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكالية المعني، ص:68

خامسا: الحداثة:

يقر" حبيب مونسي" بان الحداثة لم تكن تصورا موحدا عند الدارسين ، بل تعددت الصور فيها بحسب المطلب و المبتغى وراءها، لقد عرض "شارابي" ثلاث حالات للحداثة قد تعيننا صورتها على فهم الحقيقة و تبدلاتها في الفكر الغربي و هي حالات تغطي الخمس قرون الأخيرة و هي:

الحداثة بوصفها بنية كلية، و يقابلها مفهوم" الحاثة"

الحداثة بوصفها سياقا شاملا، و يقابلها مفهوم"التحديث"

الحداثة بوصفها حدثا نوعيا، و تقابلها"النزعة الحداثية"

{ و قد وجدت الحداثة- في تطور رأس المال و التقنية المادية- سياقها المفضل الذي يخول لها الإجراء التطبيقي التكنولوجي...و هي العناصر التي تشكل النزعة الحداثية، التي تنطوي على تغيير الذات للعالم، التي وجدت تأثيرها في الأدب و الفن و الفلسفة}[1] .

النقد/ الموضوعية العلمية:

شاع مصطلح " الموضوعية العلمية" و كأنه يحوي في ذاته إقصاء للذات الفاعلة و تجاوزها إلى صنيعها و إبداعها مباشرة و على حد التعبير " حبيب مونسي" فان الدارس قد يجد تلازما معرفيا بين الموضوعية كادعاء حافل بالتجرد و الالتزام، و بين الوضعية كرؤية علمانية تصوغ لنفسها الوجود و

[1] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و اشكالية المعني، ص:70

العالم ، وفق إدراك قائم على الملاحظة و التجريد و صياغة القوانين... و هي إذ تفعل ذلك، فإنها تنفي عن نفسها كل ذاتية، و تلحق بها كل نقيصة"[1]

و نجد ان " فيبر" قد حدد خاصيتين للعلم يتم من خلالهما بناء الفصل الحاسم بين العلم و الفن، و قد كان لهما الشأن الكبير عند تابعيه، ذلك انه يرى أن للعلم شرطين:

العلم غير منته، خاضع لتطور مستمر من دون الوصول إلى الكمال.

العلم ينشد الموضوعية و يسعى إلى التحرر إلى الذاتية، و أحكام القيمة، و شرط الموضوعية يجنب العلم في احكام القيمة و تلونها بما يضمن له الصدق.[2]

سابعا: النقد، و علم التاريخ:

ا ناول تعريف يشد الباحث العربي في التاريخ و هم ما يذكره " ابن خلدون" في كتاب " العبر" حيث يقول: (التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولهم و سياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروقه في أحوال الدين و الدنيا)[3] .

و لم يتردد " ابن خلدون" في إلحاق صفة الفن بالتاريخ، و ألزم نفسه بثلاثة قوانين رئيسة هي[4]:

قانون السببية: لكل حادث أسبابه التي أدت إليه

قانون التطور: تطور الأجيال، و تغير العادات و الطبائع

[1] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و إشكالية المعني، ص: 93
[2] المصدر نفسه، ص: 94
[3] المصدر نفسه،ص:96
[4] حبيب مونسي، فلسفة القراءة و إشكالية المعنى،ص:96

قانون المقارنة: نقد الروايات، و عرض بعضها على بعض.

تبدو هيمنة التاريخ على الأدب واضحة جدا. فالدارس يجد نفسه يطبق على الأدب من خلال التاريخ (الحقب الزمنية ، النزاعات المسيطرة ، تسلسل الوقائع ، ربط الوقائع الأدبية بحقائق التاريخ...الخ).

ثامنا: النقد و علم النفس:

إن تطرق " حبيب مونسي" إلى قضية النقد و علم النفس مرادها إلى تباين الآراء من جهة و تعارضها من جهة أخرى، فتتلاقى في هذا الصدد شبكة العلاقات الواعية و اللاواعية، و هو الذي يرى " أن الأعمال الأولى التي باشرها النفسانيون أكثر التصاقا بمهنتهم، و لم يروا في المؤلف سوى مريض يسجل الفحص الإكلينيكي عوارضه الظاهرة و الباطنة، و لم يجدوا في الأثر الأدبي سوى وثيقة إدانة يعمل فيها اللاشعور و اللاوعي عملها للتدليل على الذات". [1]

فالنظرية النفسية تركز على وصف تتابع أفعال النحو و مراحله ، و هكذا لا تقتصر نظرية علم النفس على خصوصية شخصية محدودة ، بل هي تحاول دائما ربط الخصوصية بعوامل أخرى إنسانية و مادية و زمانية، و من ثم ربطها بالإطار الأسري و الاجتماعي و الثقافي و الحضري، و مهما قيل من أن علم النفس يضرب جذوره في حوارات " افلاطون" : (تأثير المحاكاة العاطفي على حراس الجمهورية الفاضلة)، و " أرسطو" (المحاكاة تقتضي التطهير النفسي للمشاهد او المتلقي)، فان التحليل النفسي في النقد و الأدب برز فعليا مع " سيغموند فرويد" ، الذي يرى أن العمل الأدبي موقع اثري له طبقات متراكمة من الدلالة و لئن كان

[1] المصدر نفسه،ص:110

للتحليل النفسي " الفرويدي " أنصاره في النقد الحديث ، فهذا لا يعني أن التحليل النفسي عند "فرويد " نفسه لم يتغير، ويعيد النظر في مصطلحاته وأطروحاته ... كما لا يعني هذا أن التحليل النفسي لا يتواءم مع غيره النظريات النقدية أو يلغيها ، بل هو يضيء كثيرا منها خاصة انه يتعامل معها ويتهم بتمثيل الذات الأخر و الجسد و العواطف و العلاقات التي تحكم فعاليات السلوك و الخطاب [1]

تاسعا : النقد و الاستيطيقا الأدبية :

يؤكد النقد " حبيب مونسي " على أن التفكير النقدي يمتح مادته من الوسط الذي يقوم فيه ، و من طبيعة اللغة التي يتفحصها . ومن الأساليب التي يرصد فيها التحول و التنوع ، و من القيم الجمالية التي يحاول محاصرتها ليدرك فيها الأسس الذوقية و الفلسفية ... و الأخطار في ذلك في نظرية النقد الجديد المحافظة على نمط من الاستقرار السياسي والاجتماعي لدى طائفة من الناس ، بيد أن النقد الجديد القائم على التصوير الوصفي ، الذي كرس الاستقرار و الثبات محاورة صريحة مع الآثار تتجاهل المحظورات و تتخطى النواحي إلى المكاشفة[2]

ومن بين النقاد الذين تطرقوا إلى لفظ " الاستطيقا الأدبية " نجد " عصام البغدادي "الذي يقول { إن الاستطيقا لفظ " علم الجمال" ... وانقسم الفلاسفة فيه إلى اتجاهين :

[1] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2002م،ص:132،133

[2] حبيب مونسي ، فلسفة القراءة و إشكالية المعنى،ص:114

احدهما يجعل الجمال موضوعيا كأنا في الشئ الجمال نفسه ، والآخر يجعله مرهونا بالإدراك الذاتي عند الشخص المدرك }[1]

وهذا يعود في أصله إلى اليونانية ، فهو مشتق من الفلسفة الأفلاطونية ، والميراث اليوناني و الروماني في الفن والأدب والفلسفة .

عاشرا: من النقد إلى القراءة :

يأخذ " حبيب مونسي " في هذا العصر إلى رحلة غير مضمونة العودة من خلال مصطلح " الأساس " – لفظ النقد أو صدى الحكم و المعيار – وما نتج عنه من تحولات و انعكاسات ، وكان المتصدي لهذا المصطلح يقف في منطقة وسطى بين طرفين {فلا يمر صنيع هؤلاء إلى هؤلاء إلا عبره ، وبمباركته ، فهو بذالك يمثل صور فريدة متميزة ، يطمئن إلى عدلها ونزاهتها واقتدارها ...، وهي وظيفة تصارع وظيفة إلى الشاعر في الأزمنة ، أو وظيفة الكاهن في الأخرى قبلها }[2]

لكن سرعان ما تغير الحال ، وتغير ذلك الناقد ببطء إلى خادم طيع في هذه الفلسفة التي صاغته بحسب هواها وقيمها ، ومرد ذالك حسب " حبيب مونسي " هو ظهور المنهج و المرجعية والانتماء الإيديولوجي ، والموقف الجمالي .[3]

وسرعان ما تحولت وظيفة النقد من قول المعنى وتعيينه إلى الحديث عن كيفية أنتاجه. أن الناقد _وهو يتخلى تدريجيا عن الحكم _ يحول مسؤولياته في ما يخص المعنى (إلى العناية لا بالناتج ،بل بالنظام

[1] عصام البغدادي، مفاهيم فكرية، علم الجمال، مجلة الحوار المتمدن، العدد 1072،2005م
[2] حبيب مونسي، فلسفة القراءة، و إشكالية المعني، ص: 133
[3] المصدر نفسه،ص:133

الذي انتجه :لا بالدلالة بل بطريقة الدلالة ،فهو يريدنا أن نفهم كيف تعني النصوص؟ قبل البحث في ماذا تعني هذه النصوص ؟)[1]

و يردف " حبيب مونسي" بان بذور القراءة نشاط قائم وراء النقد، و تتجاوز مهمة الناقد القصدية القائمة وراء الحرفية و الدلالة الأحادية القارة للكشف عن إمكانية تعدد هذه الدلالة في نفس الواحد .

و هنا تظهر القابلية " الانفتاح و التأويل" لأنهما ابعد بكثير من المهمة الأولى.

و لكي يسهل علينا التحول من النقد إلى القراءة لابد من إعادة الاعتبار إلى الطرفين خطيرين في العملية الإبداعية. ألا و هما : المبدع و القارئ

أولا: المبدع:

و هو الذي نظر إليه في المقاربات التقليدية من وجهة تاريخية ضيقة حصرته في السيرة الذاتية، و استأثرت به الدراسات في فلسفة الفن، التي حاولت إسرار العملية الإبداعية من خلاله.

ثانيا: القارئ:

إذا كان المبدع يخضع لسلسة من القوانين المتعددة، كقانون تداعي الخواطر، الذي ينادي به علم النفس، و قانون تقسيم العمل الذي قال به" دوركايم" فان القارئ – هو الأخر- يخضع لها خضوعا متفاوت الدرجات، حاولت سوسيولوجيا القراءة الكشف عنه عمليا من خلال التجريب[2] .

[1] المصدر نفسه، ص:134

[2] حبيب مونسي، سوسيولوجيا القراءة، مجلة الوصل، معهد الادب العربي، جامعة تلمسان، العدد 3، 1998، ص:103

المبحث الثاني : " نظريات القراءة في النقد المعاصر "

كان الخطاب النقدي عند "حبيب مونسي " في كتاب " نظريات القراءة في النقد المعاصر " محطا بمجموعة من القضايا النقدية التي كانت ولا زالت تشكل سجالا قويا في الساحة النقدية الغربية و العربية على حد سواء ، فالناقد جعل من نظرية القراءة المحور الدراسة في هذا الموضوع (النظري والإجرائي) ، وهو أراد أن يؤسس لنظريات و مفاهيم نقدية عربية خالصة ، قصد تسطير رؤية واضحة المعالم بينة الحدود .

يقول "حبيب مونسي "في مقدم كتابه "نظريات القراءة في النقد المعاصر " :{ إذا كانا في مجال الأدب نردد كثيرا من النظريات ترديدا أليا خاليا من الوعي الذي يغوص عميقا في الجذور المؤسسة للنظريات ، ثم نسارع لإجرائها مناهج وطرائق لتفسير النصوص في سذاجة كاملة ، تجعلها نفصل فصلا بين الأدب والدين ، ولا نشغل بالنا أبدا بالتفكير الهادئ في إمكانية كون الأداة التي نتعامل معها أنما صيغة في غير الحقل الأدبي }[1]

وهي نبرة ساخطة و ساخرة من الأدباء والدين المتفيقهين المتغربين ، الذين يعزفون على نغمة الفصل بين الدين و المناهج الأدبية والنقدية ، ويفصلون بين الدين و الإبداع الفني ، والدين ومنهاج التعليم ، والدين والسياسة ، ويزعمون أيضا أن التعامل مع المقدس يصادر الاجتهاد ، ولا يسمح بالتجربة والخطأ ، والمحاولة التي قد تفضي لاكتشاف جديد لم يسبق إليه . وفي نهاية المطاف يبعد الدين كله عن الحياة ، و يحصر في زاوية ضيقة جدا ، إلا وهي المسجد .[2]

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص:04

[2] ينظر: عبد الله لالي، قراءة في الكتاب " حبيب مونسي، " مجلة رابطة ادباء الشام ، 2015م، ماخوذ من الموقع

ومن بين الآليات التي أعطت اهذا الموضوع مسحة خاصة نجد القراءة السوسيولوجية ، وهي رحل النص من صورة في ذهن صاحبه إلى مادة في يد الناشر ، إلى كتابه له صورته الخاصة بين يدي القارئ ، وسيميائية القراءة التي تعدت المستور إلى رحاب التاوبل بالتعمق

الإجرائي من خلال المقاربة في النقد الجزائري ل "عبد المالك مرتاض" في إطار المنهج السيميائي .

كما تطرق "حبيب مونسي " إلى جمالية القراءة ، التي تفتح أفاقا واسعا للقراءة الممتعة المغذية للروح . ثم يتطرق إلى تأثير عملية التلقي ، حيث يقول (أما تأثير التلقي فوجهته عكسية إذا يرتد إلى الذات ، في اضطرابها وتشوشها ليعدل ، أو يحور ، أو يثبت الاعتقاد الأولي ، ويزحزحها عن الموقع الافتراضي إلى موقع جديد) [1]

ومن أهم القضايا التي تطرق لها "حبيب مونسي " في كتابه : " نظريات القراءة في النقد المعاصر"نجد :

أولا :فعل(القراءة):

شكلت القراءة بأنواعها و مستوياتها دائما موضوعا خصبا للنقد الأدبي، كيف لا؟ و هي التي تتجلى بوضوح تام في نظرية التلقي أو كما يسميها البعض نظرية القراءة التي ظهرت في المانيا في اواخر ستينات القرن الماضي من خلال جهود مدرسة : " كونستانس" و رائدهيا البارزين: "فولفغانغ ايزر "، و"هانز روبرت ياوس " ؛حيث يقول " ايزر" في هذا الصدد :(لقد بدا التاويل في يومنا هذا باكتشاف تريخه الخاص ،ولم يكتشف معاييره الخاصة به ، بل ايضا تلك العوامل التي يقيض لها ان ترى النور

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر،ص:129

طوال مدة سيلدة المعايير التقليدية، والعامل الاكثر اهمية من بين تلك العوامل هو دون شك القارئ نفسه)[1]. وهذا ما يبين اهمية فعل القراءة التاريخي والأساسي .

أما " حبيب مونسي" فحاول الذهاب بعيدا في هذه النقطة و رأى أن فعل القراءة يمر بمراحل تفصيلية ، ذات علاقة بنمو الإنسان و تطوره، و يؤكد عن مصدره الديني المتمثل في القران الكريم هذا النازل من السماء تكليفا و تشريفا و ذلك من خلال قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق){ سورة العلق، الآية، 01}.

فالقراءة هنا متزامنة و نزول القران الكريم ، و لكنها ملازمة لشيء يضمن لها الاستمرارية، إلا و هي الكتابة من خلال قول الله تعالى(الذي علم بالقلم) {العلق، 04}، فالقلم شيء مادي يدل على الكتابة التي تضمن للقراءة البقاء و هو اعتقاد له خطورته في تحديد طبيعة هذه الكتابة، و في ارتباطها بالقراءة، إذ أنها لا توجد ذاتها لتقرا، بل تأبى ألا أن تكون هي نفسها القراءة تتجسد في تلك الروحانية و هنا الفعل يتجاوز غار جراء ذلك الغار المبارك الذي شهد أول فترات نزول الوحي، (بل يتعداه إلى قراءة كل الاشراب و الرموز التي لها دلالة و معنى و قراءة كل صفحات الكون المفتوحة قراءة تأمل و تفكر).[2]

و قد ورد لفظ " القراءة" في النصوص القديمة بمعاني مختلفة، منها: المعرفة و العلم و الخير، و الهدي و الإيمان، و إذا كانت القراءة في الأصل " سورة العلق" وردت بمعنى سرد الوحي و استظهار ما نزل منه، و حفظه، فان ذلك لم يمنع من تطور هذا المفهوم من المعنى الديني إلى المعنى الدنيوي.[3]

---

[1] فولفغانغ ايزر، فعل القراء، تر، حميد لحميداني، الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، المغرب، { د،ط}، 1987،ص:11.

[2] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص12

[3] عبد المالك مرتاض، دار الغرب للنشر و التوزيع ، { د،ط}، {د،ت}،ص13

و يظهر البعد الحضاري جلي المعالم في تصور " حبيب مونسي" للفعل (قرا) ، فالقران الكريم هو الذي يكشف لنا عن هذا البعد ، و الذي يعلن " نهاية الارتجال و البداهة...و هو بمعنى آخر : نهاية البداوة، و بدء المدينة، انه بداية المعاناة و المكابدة، و إحالة الفكر، القران إبداع للعالم بالوحي، من حيث انه تصور جديد للعالم، و تأسيس له الكتابة".[1]

و عليه يمكن القول أن أول ارهاصات القراءة كان في ثنايا الطرح القراني المعجز بصورتي: الخلق، و العقل، أو النمو و التفكير.

و يحضر " العقاد" هنا حضورا قويا من خلال كتابه: " التفكير فريضة إسلامية" ليذكر كيفية تعامله مع النصوص القرانية، من خلال تدبره في الايات و استخراجه لخصائص العقل، التي نستشفها في قوله: " و من أعلى خصائص العقل الإنساني الرشد، و هو مقابل لتمام التكوين في العقل الرشيد، و وظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوزاع، و العقل المدرك، و العقل الحكيم،

[1] حبيب مونسي، المصدر السابق، ص:12

لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف، و عليها مزيد من النضج و التمام و التمييز بميزة الرشاد، حيث لا نقص و لا اختلال..." [1]

جعل " العقاد" أسمى وظيفة في العقل هي الرشاد، أي الكمال الإنساني، لأنها " فوق وظيفة العقل الوزاع و العقل المدرك و العقل الحكيم، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف، و عليه مزيد من النضج و التمام، و التمييز بميزة الرشاد، حيث لا نقص في الحكمة، و لكن العقل الرشيد ينجو به الرشاد من هذا و ذاك"[2] .

كما اشار " حبيب مونسي" إلى رد " عبد المالك مرتاض" على " غريماس" و " كورتيس" ، حيث اعترف " غريماس" بامكانية تعدد القراءات و جمعانيتها، و هذا ما لمحناه في قوله: "...إن النص الواحد يجب ان يظل مفتوحا الى ما لا نهاية، و ان كل قارئ يمكن ان يقرا بمنظاره الخاص" [3]

و هذا ما ينتج عنه " الجمعانية" آو " التعددية" ، بحيث تمثل كل قراءة وجهة نظر معينة (فهذه قراءة نحوية، و تلك قراءة لغوية، و ثالثة أسلوبية، و أخرى تنزع منزعا أخر...و هلم جرا) .[4]

و يورد " حبيب مونسي" ان " النص الغربي الذي كان حكرا على الكنيسة حتى مجيء " غوتنبرغ" الذي خلصها من هذه التبعية، و جعلها تطفو على العوام من بني البشر من خلال فعل الطباعة،

[1] عباس محمود العقاد، التفكير فريضة اسلامية، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع،ط1، 2007م، ص04

[2] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص13

[3] المصدر نفسه، ص27

[4] المصدر نفسه،ص27

فتحول هذا الفعل القرائي من خاصية دينية إلى صرح للدراسات الغربية، و أصبحت القراءة للجميع، و هذا كان فعل القراءة بوجهيه العربي و الغربي مرتبطا بالعقل و الاستيعاب و التفكير"[1].

كما أشار "حبيب مونسي " إلى أن (الفعل الإبداعي المتجدد المواكب للفعل القرائي، والتملص من المسؤولية تجاه ما اكتب ، وكان لسان حالي يقول : "أنا اكتب ما اشاء ، والقارئ يستخرج الدلالات والقيم"،فليس ذلك تقييدا للفعل الإبداعي المتجدد للنص، والالكنا مجبرين على اعتبار الفصل كل النص بنية فارغة ،خواء ،وعلى القراءة ان تحشوها بما تشاء.[2]

ثم التطرق الى البعد الذي يعتبر القراءة فعلا مختصا ؛لان ' القراءة لا يمكن باي حال من الاحوال ان تكون وحيدة ، بل هي بحاجةالى من ينفخ فيها الروح ،ويتم وجوديته ، وهي –كما يقول" حبيب مونسي "-(تؤلف مع الكتابة وجهين لعملة واحدة).[3]

ومنه اصبح الفصل بين القراءة والكتابة امرا مستحيلا .كما استند "حبيب مونسي" على مقولة :'باشلار' التي مفادها "إن كل قارئ يضمر في ذاته كاتبا، فإذا كانت الكتابة تأسيسا لمشروع يستمد عناصره من حقول معرفية شتى، فان فعل القراءة لا يكون بذاته عملية استهلاك هذه النظم الترميزية، لان هذا الفعل لا يقتصر على الاستهلاك فحسب، أو كما سماه" حبيب مونسي" (الفك الميكانيكي للرمز)، بل يمتد إلى ابعد من ذلك.

و ذلك لان هذا التفكيك يشمل" كافة التقاطعات التي أحدثها النص مع الحقول الأخرى اقتباسا أو تضمينا أو إشارة أو تلميحا...فتكون القراءة قد حققت خطواتها الأولى في تفكيك المكتوب، ثم تمضي

[1] المصدر نفسه،ص28
[2] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص:25
[3] المصدر نفسه،ص:20

للتقاطع مع النص الجديد مشبعة بمرجعيتها و نصوصيتها، فتبدأ بإثراء النص المقروء، و افضة مادتها عليه".[1]

يدعو " حبيب مونسي" القارئ إلى المشاركة الفعالة في فعل الكتابة، لانه و بحسب مفهوم " بريخت" فان كل قارئ يحمل في نفسه كاتبا: " إذا كنا نرغب في الوصول إلى اللذة الفنية فلا يجدر بنا نسهلك النتاج الفني من دون جهد ، بل يتوجب علينا المشاركة الفعلية في إنتاجه [2]

فاللذة الفنية لا تتحقق الااذا كان جهد فعلي .

أما الآلية الثالثة التي رماها "حبيب مونسي " بسهامه ، فهي " اللذة والمتعة " ، حيث بسطها بسطا تمييزيا ، تمييزا " بارتيا " باعتبار أسبقية نص اللذة على نص المتعة حيث يقول : { يحق لنا اعتبار اللذة مرتبطة بالنص التقليدي ، إن لم نقل الكلاسيكي الذي يقبل النقد ... ، اما المتعة فهي مرتبطة بالنص الحداثي الذي لايقبل النقد ، بل يرضى فقط بالتحدث فيه وبطريقته هو ...} [3]

إن تمييز " تارت " بين الاثر الادبي والنص كان ذا بعد واضح وفروق حقيقية تكشف حقيقة المتعة وانفتاحها على المجهول من خلال زوايا سبعة في :

_ المنهج ، الجنس ، الدليل ، التعدد ، السلاسة ، القراءة واللذة .

[1] المصدر نفسه،ص:21
[2] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص: 21
[3] المصدر نفسه، ص: 30

وفي كل مستوى تظهر تلك الفروق في صورة أعمق . فالنص التقليدي هو يتطلب ممارسة نقدية وقدرة ثقافية ذات افق لدى القارئ ، بينما النص الحداثي هو الذي يقبل التحدث فيه وتناوله للشروحات من دون النقد .

ان الفعل الاجرائي تتبدى ملامحه من خلال ربط " حبيب مونسي" نص اللذة بالنص القديم (القصيدة العمودية) و دليله في ذلك المقاربة التي عقدها على أعمال عبد المالك مرتاض من خلال قراءته لقصيدة : " اين ليلاي" لمحمد العيد ال خليفة. كيف صدرنفسه ببداية طويلة حملت بين طياتها توطئة وتمهيدا ومقدمة، للعريف النص وموقع القصيدة ، وكل ما يحيط بها من خصائص (النسيج ،تقنيات التعبير ، الإيقاع واللغة.....الخ).

لكن مقاربة "مرتاض" زاوجت بين النصيب :القديمو الحديث ، وطابقت بين اللذة والمتعة ، لان 'ذلك لا يمانع ان تكون القصيدة العمودية نص لذة يبادل القارئ عطاء قد ينزاح به بعيدا

عن المقصديات الأولى إلى لغة اللغة ، والى نص النص ، فإذا القصيدة صوت أخر يحمل في ارنانه طلالا لدلالات ورموز تفتقها عبقرية القراءة تباعا '.[1]

ثانيا: القارئ:

حاول " حبيب مونسي" إخراج القراءة الى العالم الخارجي متجاوزا الحدود الجغرافية الزمانية متوجها لأكبر جمهور ممكن من خلال الثالوث المرعب: (المالف /الناشر /القارئ).

وهنا تبرز فكرة تعدد الجماهير (جماهير تساند المؤلف ،وأخرى تساند الناشر) . "لان جمهور الكاتب حاضر في عملية الخلق ، مصاحب لها من ساعة التفكير والمخاض إلى ساعة الوضع . . .انه جمهور

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر،ص172

على درجة عالية من الذكاء والفطنة والمعرفة . انه خبير بسر العملية الإبداعية وقواعدها وآفاقها ، فهو ينتظر من الكاتب تجييد ذلك الافق ..

بيد أن جمهور الناشر على خلاف ذلك ،اذ يتولاه بالدعاية والإشهار والعرض الزخرفي ، فيكيف فيه قابلية المنتوج دون أن يعرض عليه فحوى الخطاب " [1]

وهنا نلحظ ذلك التحول المباغت من خلال تغيير النظرة من عنوان الكتاب وما يحمله من قيمة معرفية إلى مادة تجارية بين يدي الناشر .

كما تكلم 'حبيب مونسي' عن تلك الأفق التي فتحها النقد الجديد للقارئ بعيدا عن صاحب النص ؛لأنه أصبح لايمثل شيئا في العملية الإبداعية ، فتحول النص الى ملكية خاصية لكل طارق ، من دون الذات الكاتبة ، وهذا من اجل اعادة كتابته من جديد وفق أنماط قرائية متعددة .

يقول 'حبيب مونسي' في هذا الصدد :(ومن هذا أضحى الحديث عن سيميائية القراءة ضرورة ملحة يتحلى بها الانسان القارئ بغية استنطاق النص :

نص القراءة لا نص الكتابة ،لتقوله دلالات تلامسه او تشتط عنه في أفاق التأويل الواسعة خاصة ان السيميائية سترفعه خارج اسوار اللغة، و تغرقه في محيط العلامة و كونها"[2] .

ثالثا: التلقي:

حاول " حبيب مونسي" لان يبين زعامة المدرسة الألمانية لنظرية التلقي على الرغم من وجود دلالات قديمة جدا تؤكد أسبقية التراثي العربي بهذه النظرية ، و لكن دون العناية الكافية بها.

[1] المصدر نفسه، ص56

[2]

يقول " حبيب مونسي" : "{ و عندما نقرا اليوم تعليق(الوليد بن المغيرة) على اثر القران الكريم في نفسه: (إن له حلاوة، و إن عليه لطلاوة، و أن أسفله لمغدق، و أن أعلاه لمثمر) .

نستعظم مثل هذا الرد ، لأنه يضعنا أمام أول نص يكشف عن ناتج الوقع في الذات القارئة ...} [1]

ويظهر ذالك التفاعل بين النص والقارئ .

تقوم نظرية التلفي اليوم على مفاهيم عدة منها : الأفق السابق ، ناتج الوقع ، تشكل الأفق الجديد وتجاوز المعاير .

إن استدلال الكتاب ب "الرماني " لخير دليل على ذلل عند حديثه نقص العادة ، وهي التي كانت جارية نضروب من أنواع الكلام : (الشعر ، الرسائل ، النثر) ، ولكن مجيء القران الكريم بطريقة مفردة خارجة عن العادة . فالعادة هنا تمثل الأفق السابق ، وقيمها الجمالية تمثل ناتج الوقع . وتاسيس جماليات جديدة هو الافق الجيد .

طما يتبين الاهتمام بنظرية التلقي من خلال أبعادها الثلاثة : (ما قبل التلقي ، أثناء التلقي ، ما بعد التلقي) .

والنص القراني خير دليل على ذلك ، يقول الله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشعون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلبهم إلى ذكر الله) { سورة الإسراء ، الآية 23:}

وهنا تنكشف التغييرات الباطنية والفيزيولوجية التي تنتاب المتلقى أثناء عملية التلقي وبعدها ، حيث يختلف التلقي من زمن الى زمن ومن شبخص إلى آخر .

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر،ص133

كما أشار " حبيب مونسي" إلى هذا الطرح من قبل إعلام " كونستانس" الألمانية، حيث ركز " ياوس" على بعد " ما قبل التلقي" و ما له من مرجعية و أثار محاولا بذلك قديم قراءة جديدة للتاريخ، يقول " حبيب مونسي" : (منهج "ياوس" في تلقي مؤلف ما، حيث ينصرف عن اطارالبنيات التحتية للنص إلى الخارج، مركزا اهتمامه على المتلقي، بين حالتين:

ما قبل التلقي: و فيه تكمن حقيقة الموقف الذي يحتله القارئ من المعرفة عموما، و من الآثار خصوصا.

عن كيفية تشكلاته في مداركه: في صورة قارة نسبيا تتخذ سمات أفق سابق بمعاييره و انساق قيمة الفنية و الأخلاقية و الجمالية التي تكون مثار تعديل أو تحوير أو نقض يتولد عنها أفق جديدة. [1]

أما " ايزر" فقد صب جم اهتمامه عن عملية التفاعل بين القارئ و النص.

رابعا:الناقد في نظر : " حبيب مونسي":

يظهر لنا " حبيب مونسي" الملامح الواضحة لحقيقة الناقد الأدبي، و هذا في ختام مقدمة كتابه: " نظريات القراءة في النقد المعاصر"، من دون تشييع و لا مبالغة. " فالناقد الحق: الناقد الحصيف البصير بمكامن الجمال و الإبداع السامي، يأخذ بيد لبناشئ وهو لا يزال في أطوار نموه الأولى ، كما يصاول البارع المقتدر في أعلى مقامات عطائه ويكفكف من غلواء غروره ، أن مال به القلم ذات اليمين او

[1] المصدر السابق، ص :126

ذات الشمال ، فهو شاعر مع الشاعر ، وقاص مع القاص ، ومنشئ لخلق من الإبداع جديد مع المنشئين ، لا مجرد صدى لأصوات هائمة في سماء الكتابة والقول ".[1]

وهذا ما دل عليه قول الناقد 'حبيب مونسي' :"ذلك النقد الذي كان يحفل بالبعد الإنساني في الإبداع ....ذلك النقد الذي كان يعلم كيفية احترام النصوص ، واحترام أصحابها ، والإقرار لهم بالفضل والسبق ...ذلك النقد الذي كان الناقد فيه درجة لا تنال بالتمني والتحذر ، وانما هي تتويج لسنين من المعاشرة للنصوص....."[2].

المبحث الثالث :كتاب ' نقد النقد ،المنجز العربي في النقد الأدبي '

أولا:أصول القراءة العربية :

جدل : الحاضر / الماضي:

وهنا يطرح الناقد مجموعة تساؤلات جوهرية حول تلك النقلة النوعية التي حدثت في النقد الأدبي القديم من الشفوية إلى الكتابية ، وكيف احدث مجيء الإسلامي القطيعة مع الماضي ،وإقصاء التاريخ الجهلي ، بل محاربة صورة الماضي الجاهلي بكل عنف ، وبمختلف اليات الكبت المعروفة 'لان المعارف السابقة لذلك التاريخ لا تغني في شيء الفكر الجديد ، بل تعكر صفوه ،ماعدا اللغة ومحولاتها من نصوص ن وا دام في استمراريتها رافد حي لفهم النص الجديد '.

[1] عبد الله لالي، قراءة في كتاب " حبيب مونسي"، نظريات القراءة في النقد المعاص، رابطة ادباء الشام، من الموقع

[2] حبيب مونسي، نظرية القراءة النقد المعاصر، ص:08

وهذا ما أدى إلى تقاطع رأي (حبيب مونسي) مع رأي الجابري في خضم الحديث عن الفترة الانتقالية من الشفوية إلى الكتابية ، بسبب ظهور الشعوبية ، وما افرزته من مفارقات في النقد القديم ، إلى التدوين وجمع المادة الاغوية التي اقتصرت على البدو دون الحضر ، وهذا ما رفضه 'حبيب مونسي ' رفضا قاطع . يقول :"اذا سليمان بان جمع اللغة على هذه الطريقة إنما كان ليحفض لغة القران الكرن من اللحن ، فلماذا تجاوزه إلى لغة البادية ،وهي لغة فقيرة بالمقارنة مع لغته ، وهم يعترفون له بالفصحة والإعجاز ".

وهذا ما شكل تعثرى في مسار النقد العربي بصفة عامة عبر العصور ، واقفل الباب أمام ابداع المحدثين .

ثانيا :الثبات والتحول :

وهنا يشير (مونسي) إلى ذلك التحول أو التطور الجاري سريعا في المجتمع العربي ،بنوع من الحيطة و الحيرة ،وهذا بانقسان الحركة الفكرية والعلمية إلى جهتين : جهة الماضي العربي ، وجهة الحاضر اللاسلامي ، مع اختلاف الأداة وتوحد المقصد جعل الجهة الالى تستقل

الثابت، و تعمل على تجميعه زادا، و تنفرد الثانية بالمتحول تصطنع له علم الكلام، و الحجج العقلية، بعدما أرسلت أصولا ترتكز عليها في جولاتها مع الخصوم".[1]

هذا و قد مس التحول الحركة الأدبية أيضا ، فقد فرض المنهج العقلي سيطرته على الأدب و النقد، و لكن بمرور الوقت حاول النقد الخلاص منه معتمدا على التحليل و التعليل.

ثالثا: مشكلات القراءة العربية:

[1] حبيب مونسي، نقد النقد، ص:21

الفحولة:

تكلم " حبيب مونسي" في هذا المجال عن معايشة الاصمعي للرواية و تدوين اللغة، بالإضافة إلى حصاد الجمع، فربما هي محاور كانت باعثة على إيجاد نمط قراءته، لذلك التراث الشعري." حين أوقفته أمام جموع الشعراء، يتفاوت شعرهم كما وكيفا، قوة و ضعفا، فحدث به إلى اصطناع مقياس: (فحل/ غير فحل) ثم نظر إلى منبع الشعر: " فوجده واحدا من اثنين، أما الخير او الشر" [1]

و قد نحا" ابن سلام الجمحي" المنحى نفسه في طبقاته، مثيرا مشكلتين في الوقت نفسه، الاولى تمثلت في اللحن و الانتحال، و الثانية متسائلة عن الناقد و منزعه الثقافي.

رابعا: القديم و الجديد:

يرى " حبيب مونسي" ان التغيير الحضاري و التحولات الجديدة ألقت بظلالها على التنظيم السياسي و الاجتماعي، كما لعبت المثاقة دورا بارزا في هذا التحول، فتجاوز القديم و الحديث إذ أدى إلى توليد أزمة: " و صعب على العلماء تمييزه، و قد وقفوا منه موقف الرفض، استنادا إلى سلطة النموذج القائم بين أيديهم. و تسجل الأخبار تلك الحيرة بكثير من التندر: " و في طليعة هؤلاء ابن الأعرابي.."[2].

خامسا: الطبع و التكلف:

[1] المصدر نفسه، ص:24
[2] المصدر نفسه، ص:25

أعطى " حبيب مونسي" مفهوما شاملا للطبع عندما صرح بأنه: " لا يعني- أبدا- الاسترسال على السجية و الاكتفاء بما جادت به القريحة، بل النظر و الصبر و المعاودة، أمور نستشفها من وراء الطبع و الصنعة على حد سواء".[1]

و يضرب " مونسي حبيب" عن " بشار" الذي اعتبره نقطة التحول في مسار الطبع الارتجالي الى الطبع المصنوع، فهو: " يزاوج الماضي و الحاضر، يصف الإطلال و الصحراء و لكن بذوق حضري جديد، فيه رقة، و فيه دقة في استنباط المعاني و توليدها..انه ربيب بيئة المكلمين و قد اخذ عنهم قدرتهم في بسط الأدلة و تفصيل الأفكار و تفريعها، و تشعيب المعاني و تشقيقها، فنسجه العام قديم، و لكن خيوطا كثيرة جديدة تلمع في هذا النسج".[2]

سادسا: سلطة القارئ:

يشير " حبيب مونسي" إلى سلطة القارئ في النقد القديم، التي تجسدت من خلال الأحكام النقدية، و يتبدى هذا جليا في الصورة التي قدمها كل من " ابن سلام " و " الامدي" ، و " القاضي الجرجاني".

ف" ابن سلام" بوصفه واحدا من رجال الحديث يدرك تمام الإدراك خطورة الانتحال، فجسد صورة للقارئ" من خلال تهذب ذوقه، و صفاء طبعه، و مال حصافة تمكنه من التمييز بين الجيد و الأجود، و الجميل و الأجمل، و الحسن و الأحسن".[3]

[1] حبيب مونسي، نقد النقد، ص25
[2] المصدر نفسه، ص26
[3] المصدر نفسه، ص28

و مرتكز " ابن سلام" في صحة النص يقوم على طوال المدارسة و المعاشرة فقط بعدها تطرق" حبيب مونسي" الى مسالة الموضوعية و الإنصاف عند " الامدي"، الذي لم يات بجديد ، إلى ما جاء به " الجمحي" الا تلك القدرة الهائلة التي تكسب مهارة التعامل مع

النصوص الإبداعية ، ومعرفة مواطن الجمال والرداء فيها ، فما قدمه الامدي من خطوات { توحي بالموضوعية العلمية والإنصاف الا ان النتائج التي أفضت إليها جعات قراءة القراءة عند معاصريه ومن تبعهم تتهم ذلك كله وترده ، ما دام الميل الى الطبع ، ومن ورائه البحتري يتفصد عن كل علة وسبب }[1]

وتتجلى صورة القارئ عند "الامدي " من خلال : { قارئ عالم فنان ، يكسبه علمه قوة لاقناع والتعليل ، ويكسبه فنه القدرة على ملامسة أغوار النفس والنفوذ إليها لان كثيرا من شؤون القراءة يمتحن بالطبع لا بالفكر }[2]

أما إذا نظرنا إلى موقف "مونسي " من القاضي الجرجاني ، فانه ينطلق من القيم والمفاهيم الهامة التي قدمها للنقد من خلال كتابه :"الوساطة بين المتنبي وخصومه " ، لأنه : { قارئ تجتمع فيه خصال العدل ، والإنصاف والذوق السليم ، تنتهي إليه سائر القراءات ، فيتملاها بصبر واناة ، ثم يمضي فيها الى بغيته لإنصاف الطرفين } [3]

فالمعايير التي جاء بها " الجرجاني " في " الوساطة " ، لا تتنافى – على حد تعبير " حبيب مونسي " – مع تلك التي وضعها استاذه " الامدي " في " الموازنة من خلال :

[1] حبيب مونسي، نقد النقد،ص:33
[2] المصدر نفسه،ص:33
[3] المصدر نفسه، ص34

الخلو من الابتذال .

البعد عن الصنعة والإغراب .

التأثير في الملتقي .

أما موقف "حبيب مونسي " من " عبد القادر الجرجاني " فبدا واضح من خلال القراءة النحوية ، حيث يقول : { فهي قراءة نحوية ربما نشأت من معاشرته لابي الحسن محمد بن الحسنن الفارسي ، ابن أخت أبي علي الفارسي ، والذي كان يعد أمام النحاة بعده ، انتهت بتأليفه كتابه في النحو "العوامل المائة " }[1] .

و يردف" حبيب مونسي" القول بان(ان القراءة النحوية، لا بفهم منها الخضوع الى مسائل النحو الشكلية من الرفع، و نصب، و جر، و تقديم، و تاخير، انما يقصد من وراءها: " النحو البلاغي او البلاغة النحوية، و بذلك يعد اول عالم اخرج النحو من نطاق الشكلية و جفافه و سما به فوق الخلافات و التمخلات حول الإعراب و البناء. و بعث فيه دفء اللذة الشعورية و العقلية معا. و اخضعه لفكرة النظم، و اخضع الفكرة اليه". [2]

و هنا تظهر سلطتان: سلطة القراءة النحوية: علماء اللغة و النحو، و سلطة القراءة الأدبية(الامدي، ابن طباطبا).

تمكن الناقد " حبيب مونسي" من اضفاء صورة عامة عن القارئ العربي القديم، و ما حصل له من تطور مس المفاهيم و النظريات بدءا من تصور" الجمحي" و "الامدي" الى عبد القاهر الجرجاني، مبينا

[1] المصدر نفسه، ص:34
[2] حبيب مونسي، نقد النقد،ص:37

تلك العصبية التي ميزت القراءة القديمة حين رفضت كل حديث و بسطت جل اهتمامها على القديم معتبرا ان ما قدمه صورة عامة عن القارئ في النقد القديم، و كيف اسهم في تطوير القراءة العربية قديما.

ان تلك الجولة التي قادت " حبيب مونسي" الى منابر القراءة العربية القديمة كشفت عن الجو الذي ساد الحياة العربية الإسلامية من خلال وصوله الى تلك الحقائق، التي عبر عنها قائلا:" و انتهينا الى بعض حقائق الزمن الفكري العربي كما نعيشه اليوم بجزائره الثلاثة، الجاهلية، العصور الاسلامية، النهضة". [1]

فتلك العلاقات التاريخية التي تصطبغ بالعامل السياسي و البلاطات كانت و لا تزال تمثل نقطة التقاء لعالم عربي اسلامي يلوح افقه في السراب على امال امة باكملها(الانحطاط).

سابعا: القراءة التاريخية:

اختار " حبيب مونسي" مصطلح " القراءة التاريخية" عوض " المنهج التاريخي" و ذلك يعود- بحسب رايه- الى التفاعل الواقع بين التاريخ و النقد الادبي، حيث يقول: " و القراءة التاريخية

شاهد تلاحم التاريخ و النقد الأدبي، لتشكيل ما اسماه النقاد" بتاريخ الأدب" على أساس وصفه مراحل الأدب و تطوره من خلال السيرورة التاريخية، و الاجدر بنا اليوم، أن نعدله الى مصطلح يعبر بحق عن طبيعة توجهه العام و الخاص، فتكون" القراءة التاريخية".[2]

ثامنا: القراءة الاجتماعية:

[1] المصدر نفسه،ص:46
[2] حبيب مونسي، نقد النقد، ص50

بعد ذلك الرفض الذي شهدته القراءة التاريخية كان التوجه قصرا الى القراءة الاجتماعية، هذه الاخيرة راها" حبيب مونسي، بأنها" مشروع املته حاجات الوطن العربي، فمعالم القراءة الاجتماعية الماركسية لم تتضح ، الا بعد ثورة 1952، مع ظهور النزعة اليسارية، من خلال كتابات" محمد الشوباشي" و عبد الرحمان خميس، و محمود أمين العالم، و عبد العظيم انيس، و غالي شكري، و هلم جرا.

و قد تراوحت بين التطرف و الاعتدال و التزام المنهج الماركسي، دون سواه. في مطالبه النظرية التزاما ولد صراعا عنيفا بين الجيل القديم و أجيال الطليعة، التي تعلن اسئلتها جهارا، و بشكل يستفز الموروث الثقافي.[1]

و هنا تظهر مواقف النقاد العرب بين ملتزم و متطرف و معتدل، الا ان ما يعيب على هاته القراءة انها تستنطق الواقع بأدوات لا تمت اليه بصلة، فأهملت الجانب الفني، و تجاوزته بالدعوة إلى إحقاق الفرضيات ، و تحول الأدب إلى وثيقة اجتماعية، فهذه الأسباب كلها عجلت بفنائها.

تاسعا: القراءة النفسية:

تطرق" حبيب مونسي" في هذه القراءة الى دراسة المؤلف من زوايا ثلاثة : شخصية المؤلف(السيرة الذاتية) و عملية الإبداع، ثم دراسة العمل الأدبي، و هذا ما وافق الدراسة التي اتى بها " يوسف وغليسي"، إلا أن هذا الأخير أتى بزاوية رابع، و هي العلاقة النفسية بين العمل الإبداعي و المتلقي(سيكولوجيا التلقي او الجمهور)[2].

[1] المصدر نفسه،ص:75

[2] يوسف وغليسي، مناهج النقد الادبي، جسور للنشر و الوزيع، ط1، 2007، ص:24

كما ارجع " حبيب مونسي" الجذور الحقيقة للاهتمام بالمبدع في الدراسات النقدية إلى " سانت بيف" فمنهج هذا الاخير يتلخص " من خلال بحثه الدؤوب عن المواجهة الفردية، و عما يميزها انطلاقا من الأثر الأدبي، و ما ينم عنه".[1]

كما عرج" حبيب مونسي" على منهج " فرويد" الذي جعل الإبداع يتدفق من ذلك اللاشعور الشخصي، وراء تفاعل الياته المتعددة، من قمع و كبت.

اما في الدراسات العربية القديمة فيذكر لنا " حبيب مونسي" اهتمام الجاحظ بهذه القراءة من خلال نظريته البيانية التي عمل على تأسيسها: المخاطب/ المتلقي و أحواله النفسية و الاجتماعية موضع الاعتبار الكامل من خلال الأسلوب.

يرى " حبيب مونسي" ان " ابن قتيبة" و " حازم القرطاجني" من النقاد الأوائل الذين يولون اهتماما بالغا بالجمهور المتلقي، لانه في نظرهم جمهور متشدد لا يرضى بالدنيء، و هذا ما جعل " القرطاجني" يضع للاستهلال ايا كان غرضه مرتبة خطيرة في فن القول".[2]

اما اذا أبحرنا في دراسة" عز الدين اسماعيل"، فان اولى الدراسات النفسية العربية الممنهجة هي: "...الدراسات النقدية المبكرة لل"العقاد"، و "طه حسين" التي تناولا فيها شخصيات بعض الشعراء القدامى...لكن ينبغي ان نقرر ان هذه الدراسات المبكرة، لم تصطنع منهجا معينا من التحليل محدد المعالم...حتى كتب"العقاد" كتابه عن" ابي النواس"، عند ذلك بدات معالم المنهج تتضح في ضوء مجموعة من الحقائق النفسية و العلمية".[3]

[1] حبيب مونسي، نقد النقد،ص :88
[2] المصدر نفسه، ص96
[3] عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للادب، مكتبة غريب للنشر،ط1،{د،ت}، ص:07

و هنا اقر بان " ابا نواس" كان نرجسيا.

و من أهم المزالق التي وقع فيها نقادنا عند تتبعهم لهذا المنهج" عدم التمثل الواضح لمقولات علم النفس، و التسرع في استخلاص النتائج، و تعميم الأحكام كان آفة كل بحث، كما ان الاهتمام المفرط بالشخصية على حساب النص، تحويلا للأدب عن وجهته، و بالتالي تحول

الأدب عن وجهته ....،فهو يغنيه من زاوية تقدم النماذج ،ويفقره من جانب إهمال النص ،وعدم البحث عن رموزه الفاعلية فيه".[1]

وهذا ما أطلق عليه 'مندور' مصطلح (قتل الأدب) .

لقد كان خطاب "حبيب مونسي" في هذه القراءة مصيبا إلى حد بعيد ،إلا انه وقع في الأخطاء نفسها التي وقع فيها نقادنا في طريقة حكمهم ،وهذا من خلال عرضه لنموذجين فقط : (العقاد ، والنويهي) ، دون الإشارة إلى أسماء النقاد التى حلقت في هذا المجال ، ك "عزالدين إسماعيل "،'محمد خلف الله'....الخ .

عاشرا : البنيوية :

منهج ام مذهب ؟

يطرح " حبيب مونسي " سؤالا بديهيا عن قدم المنهج البنيوي ، (فتتشعب الإجابة شعبتين : تستفسر الأولى عن كوب البنيوية منهجيا ، وتطرح الثانية امكانية قيامها مذهبا).[2]

[1] حبيب مونسي/ نقد النقد، ص108
[2] المصدر نفسه، ص: 152

هذا ويتطرق "حبيب مونسي " إلى الحدود المفاهيمية التي تحكم المصطلحين ، فيذهب إلى تعريف المنهج بانه (طرائقية تقنية محكومة بالفعل الإجرائي في حدود أدواته وتقنياته ، أما المذهب فتصور فضفاض قد يتسع ليشمل معارف جمة ، بل قد يمتد طموحه إلى تفسير الكون) .[1]

فإذا كانت البنيوية منهجا ، فان (هدفها التفكيك والتحليل ،قصد التعرف على لمكونات الأساسية).[2]

أما إذا كانت مذهب ' ...فيفتح عليها سبلى من الأسئلة الجادة ابتداء من قتلها للإنسان ، وتغييب الذاتية وطمس التاريخ ،وإعلاء العقلانية على حساب الروحية ، وقصر الحياة لتكون مجرد نسق في منظومة مغلقة '.[3]

و يقر بان البنيوية منهج، لأنها اعتمدت على الظواهر الطبيعية، و تطبيق النموذج الرياضي، مما جعلها تتسم بالعلمية، أما النظر إليها من زاوية " المذهب" فانه يطعن الصرح القائم في العمق، يقول " حبيب مونسي" : " أما من زاوية كونها منهجان و خاصة في الحقل الالسني ، فقد أضافت مقولات جديدة من شانها تفجير اللسان لغة و كلاما، من خلال أربعة مفاهيم:

مفهوم النسق

مفهوم التزامن و التعاقب

الانتقال من المستوى القصدي للأفراد إلى المستوي للنسق

[1] المصدر نفسه، ص:152
[2] المصدر نفسه، ص153
[3] المصدر نفسه، نفس الصفحة

التحليل ألتزامني و أسبقيته على الدراسة التعاقبية، و أولوية الداخل على الخارج

خصائص المنهج البنيوي:

تعرض " حبيب مونسي" إلى خصائص المنهج البنيوي، و قد التقى مع رؤية صلاح فضل، دون ان يقدم شيئا جديدا، مكتفيا بذكرها كما وردت عنده و هي:

التحليل الشمولي: (أن لا تكون عناصر التحليل وحدات مستقلة)

القيم الخلافية: و تتوقف على السياق، من خلال تعدد مجموعة من العلوم في موضوع واحد التحليل المنبثق: و يكون فعل الانبثاق من الداخل دون الالتفات إلى الخارج[1]

قاعدة المناسبة: أي النظر إلى تشكل الموضوع و أبعاده

الامتداد عمقا: و يكون عموديا لا عرضيا، لان الغاية هي الكشف عن ميكانيزمات ذلك السياق، فالقبل و البعد لا اثر لهما في الوقفة، ما دام البحث عملا انبثاقيا أساسا.[2]

مستويات الدراسة البنيوية:

يطرح" حبيب مونسي" مدى صعوبة الدراسة البنيوية، هذا لأنها " قراءة تنطلق من المتناهي الأصغر إلى المتناهي الأكبر في الخطاب الأدبي"[3]

و من المستويات التي تطرق لها" حبيب مونسي" نذكر:

المستوى الصوتي: و هو الذي يمكننا من الكشف عن البنية الإيقاعية للنص.

[1] حبيب مونسي، نقد النقد، ص156
[2] المصدر نفسه،ص: 163
[3] المصدر نفسه،ص:164

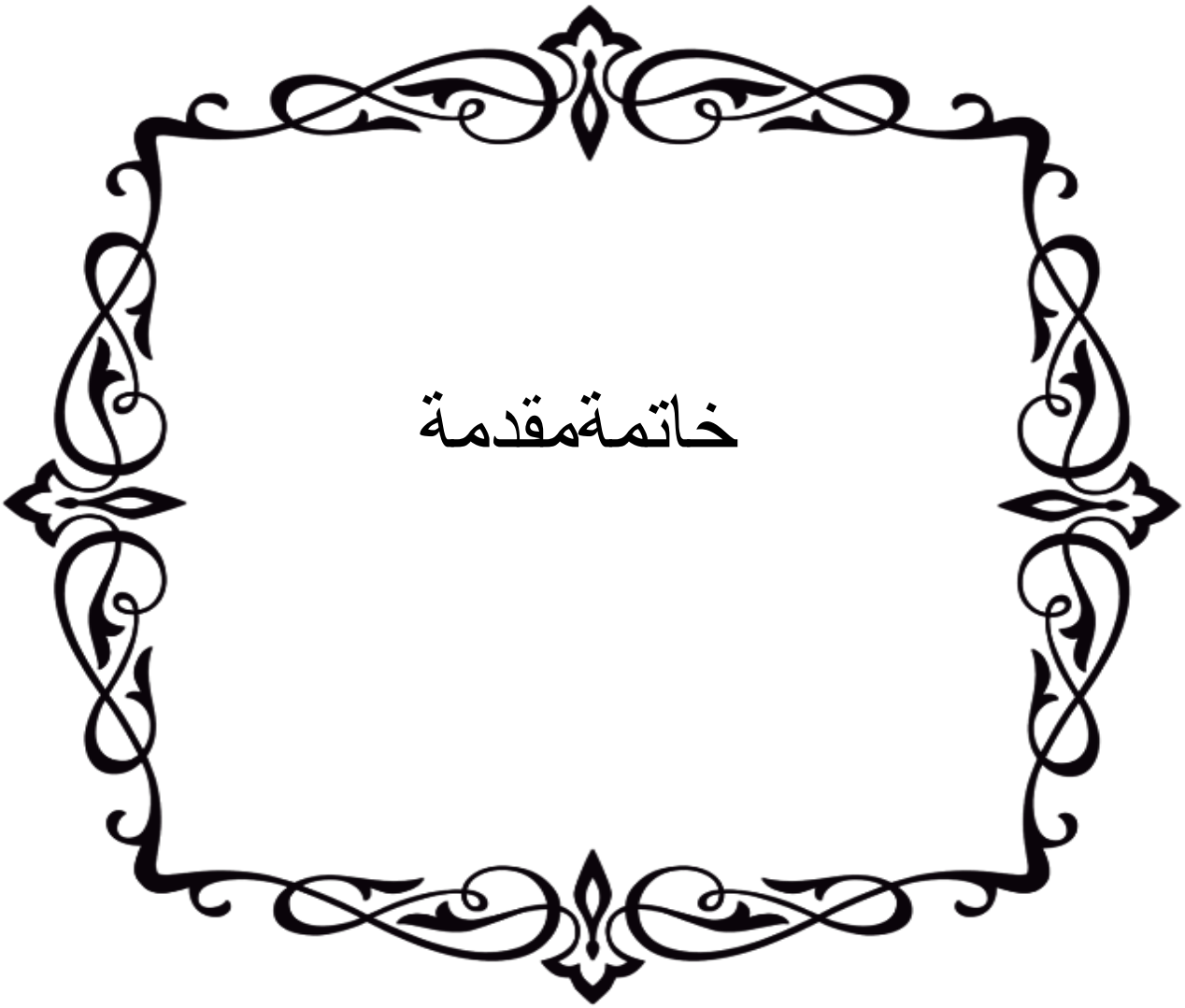
خاتمةمقدمة

خاتمة :

و ختاما نستخلص مما سبق أن النقد الجزائري شهد فطرة نوعية و تحولات كبرى و عميقة ، و بوتيرة متسارعة مداخلة المكونات و الرؤى هذه التطورات مسّت بنياته النظرية و طرائفه الإجرائية كما كان للتفاعل مع معطيات الثقافة الغربيةالوافدة أثراً بالغا في ذلك التحول و هذا ما أدى بنا إلى الوقوف على التجربة النقدية ل "حبيب مونسي " .

ـ حاول حبيب مونسي أن يمزج بين التراث و الحداثة ، في تفصيله لخطاب نقدي عربي ممتهج ، هذا ما يترجم إرتكازه على أمهات الكتب التراثية ، بالإضافة إلى الكتب المترجمة ، مما خلق عنده حساً فكرياً متعدد المصادر أنار به الساحة النقدية العربية .

ـ تبين " حبيب مونسي " مدى إستفادة الدرس النقدي العربي من التطورات الغربية ، إلا أنه بيّن أن هذا الطرح " المنهج " لا يمكن أن يتماشى و الدرس العربي ، لأنه تابع من إيديولوجيا خاصة ن لذلك وجب التثقيب في تراثنا بغية التأسيس لنظرية نقدية عربية خالصة .

ـ ليس الناقد " حبيب مونسي " من يترقب زلات الآخرين فقط ، بل هو من يضفي جمالا على بياض الإبداع .

ـ القراءة عند مونسي بمثابة مشروع حضاري متكامل يجب تنشيطها و تفعيلها لأحداث التقدم و التغيير في الجانب الفكري و النقدي العرب .

ـ يدعو مونسي من خلال رؤيته للقراءة و أهميتها إلى تأسيس مشروع فكري نقدي عربي يمكن أن يكون بديلا من التبعية الفكرية التي يعاني منها النقد العربي اليوم .

ـ يرفض مونسي التبعية العمياء للغرب و يحذر منها في مقابل الدعوة إلى ظرورة الرجوع إلى التراث العربي النقدي و النص الديني .

ـ يدعو مونسي إلى ضرورة فهم الذات أولا و قبل كل شيء ، ثم البحث فيما يوازي من فكر و نقد و الأخذ بما يتناسب و خصوصية الذات .

ـ يرى أن النقد لا ينصل عن الوسط الذي ننشأ فيه و طبيعة اللغة التي يدرسها " كتابه فلسفة القراءة و إشكاليات المعنى " .

ـ يتجلى البعد المعرفي ، و اللساني للقراءة عند مونسي في المطابقة بين الكتاب و القراءة اللتين يعتبرهما وجهان لعملة واحدة .

ـ تلقى النقد العربي تحول من النقد إلى القراءة ، بإستثمار هذه النظريات التي فسحت المجال للمتلقي للغوص في العملية الإبداعية و فهمها .

ـ زعزعت النقد الجديد بمبادئ المعيارية المتمثلة في الإستقرار و الثبات في الحكم النقدي و ظهور التحول و الحركة و النسبية في الأحكام ، و كان التحول من النقد إلى القراءة .

ـ نظر حبيب مونسي إلى القراءة على أنها حصيلة لما أفرزته الدراسات المعاصرة كما جعلها فعلا إبداعياً يؤدي بصاحبه إلى تحقيق مبتغاه و ليس فعلا إستهلاكيا فحسب .

ـ إعترف " حبيب مونسي " بفشل التجربة النقدية العربية في مجال المناهج السياسية لأنها وقعت في المزالق التي حذرت منها المناهج الغربية نفسها .

ـ إقرار " حبيب مونسي " بمساة اللامنهج في تحليل النص الأدبي ذلك أن هذا الأحير شاطئ لا ساحل له .

ـ كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها هذا البحث الذي لا نزعم فيه الكمال لأنه من المستحيل أن نستوفي كل جوانب الموضوع ، و نتمنى أن نكون قد حققنا و لو جزءاً من الغاية الموجودة و إفادة القارئ و لو بقليل ، و نتمنى ألا يتوقف البحث في هذا الموضوع .

ـ عند هذا الحد حيث يبقى في حاجة إلى الإثراء من طرف باحثين آخرين ، فإن وفقنا فمن الله عز وجل و إن أخطأنا فمن أنفسنا و حسبنا في ذلك المحاولة

السيرة العلمية لحبيب مونسي :

ولد سنة 1957بزهانة ولاية معسكر ،تلقى تعليمه بولاية معسكر ثم التحق بالتعليم المتوسط ثم الثناوي ، ثم تحصل على الماجيستير من جامعة وهران سنة 1944 ،تشغل بالتدريس الجامعي في قسم اللغة العربية وادابها بسيدي بلعباس ودرس بجامعة الملك سعود بالرياض بالمملكة السعودية ، ثم عاد الى ارض الوطن وهو يزاول التدريس بالجامعة الاصل (سيدي بالعباس) .

السيرة الوظيفية : آخر الشهادات المتحصل عليها :

. دكتوراه الدولة بتقدير مشرف جدا مع خاصة وتوصية بالطبع في 1999/12/6 بسيدي بالعباس .

. شهادة الماجستير بتقديم : مشرف جدا في 1996/12/05 م بوهران .

. شهادة ليانس في جوان 1992 م مع الشهادة الشرفية لدرجة التخرج على راس الدفعة لسنة 1991 . 1992 .

. شهادة البكالوريا في جوان 1979 تلمسان .

. شهادة الكفاءة للأستاذة مرحلة التعليم المتوسط في مارس 1980 . سيدي بالعباس .

. شهادة الكفاءة الاستاذية مرحلة التعليم الثانوي في فيبراير 1993. سيدي بالعباس .

اما في الميدان الجامعي :

أستاذ مساعد متربص 1996/11/09 .

أساعد مساعد مرسم 1997/08/09 .

أستاذ مكلف بالدروس 1999/10/20 .

أستاذ محاضر 2000/07/17 .

استاذ التعليم العالي 2006

مجمل الخدمات :

. مرحلة التعليم المتوسط من 1979/09/12الى 1989/11/25 .

. مرحلة الانتداب :المدرسة العلياللاستاذةمن111989/26الى 1992/09/20 .

. مرحلة التعليم الثانوي من 1992/09/21 .

مرحلة التعليم الجامعي : جامعة التكوين المتواصل ، استاذ مشارك من اكتوبر 1993م الى جوان 1997 .

مرحلة التعليم الجامعي :

استاذ بجامعة سيدي بالعباس من 1996/11/09 الى يومنا هذا .

استاذ مشارك جامعة وهران ،كلية الاداب والعلوم الانسانية ، قسم الترجمة ، صف ماجستير 2001/2000

استاذ محاضر بجامعة الملك سعود، المملكة السعودية،كلية الترجمة 2009/ 2004م.

استاذ مشارك بجامعة تيارت،كلية الاداب و العلوم الاجتماعية،قسم اللغة العربية صف ماجستير من 2005/2004 الى 2006،2005

أستاذ مشارك بجامعة تلمسان،كلية الادب و العلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية، ماجستير من 2007 / 2008 الى 2008م2009م

نائب عميد الكلية ، مكلفة بالبيداغوجيا، لكلية الآداب و العلوم الإنسانية سيدي بلعباس من 2001 رئيس قسم علم النفس و علم التربية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية سيدي بلعباس 2001.

رئيس اللجنة العلمية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سيدي بلعباس 2002.

كان عضو في بعض مجالس نذكر منها:

عضو المجلس العلمي للكلية ، ممثلا للأساتذة

عضو المجلس العلمي للجامعة

عضو لجنة أخلاقيات المهنة للجامعة

عضو الهيئة العلمية لمجلة الآداب و العلوم الإنسانية، سيدي بلعباس

عضو الهيئة العلمية لمجلس النقد و الدراسات الأدبية و اللغوية ، مخبر الدراسات اللغوية و الادبية سيدي بلعباس

عضو الهيئة العلمية لمجلة " متون" معهد الآداب و اللغات ، المركز الجامعي سعيدة.

عضو الهيئة العلمية لمجلة " قراءات" معهد الآداب و اللغات ، المركز الجامعي معسكر.

عضو الهيئة العلمية قسم اللغة العربية و آدابها جامعة مستغانم

كان رئيس بعض المشاريع :

رئيس التحرير مجلس الآداب و العلوم الإنسانية سيدي بلعباس

رئيس وحدة بحث بمخبر النقد و الدراسات السانية منذ 2000 إلى ما يومنا هذا.

رئيس مشروع بحث وطني حول القراءة و نص القراءة في السنة الثالثة ثانوي

رئيس مشروع بحث وطني حول الكتاب المدرسي- المرحلة الإعدادية و الثانوية

رئيس مشروع تحليل الخطاب و علم النص.

رئيس مشروع حول النقد العربي الحديث دراسات و تقويم

رئيس مشروع ماستر : النقد العربي الحديث 2009/ 2010

رئيس ميدان دكتوراه

أهم المنشورات الدولية:

عام 1998: أكاديمية الفينيق (الأردن) اطر الكتابة الإبداعية عند ابن كثير

منتدى الإمارات العربية: الأدب الجزائري

النص الجديد (السعودية): القراءة السياقية و تغييب النص

النص الجديد (السعودية) : في ماهية النص/ الحضور و الغياب

سيسيولوجيا القراءة(السعودية) من أنماط الفعل القرائي إلى أنساقه

عام 1999: استراتيجيات اكتساب المعارف و التوجيه (الأردن)

كتابات معاصر: وعي الحداثة و أزمة التوصيل، النص المستقبل و الصمت ، إشكالية فهم الأخر (لبنان)

عام 2000: جمالية التلقي مقال في جزأين: الأول/ التأصيل التراثي، الثاني/ التنظيم الحداثي (الإمارات)

اغراءلت النص نص القراءة، و قراءة نص (الأردن)

النص و آليات التأويل (دمشق)

عام 2001: النادي الأدبي، مستويات القراءة العربية (السعودية)

شخصية المصير، و مصير الشخصية (عمان)

عام 2002: الوضعية العلمية و النقد الأدبي (الدوحة/ قطر)

مشكلة الإنسان بين المسرحين العربي و الجزائري نصا و تمثيلا (دمشق)

النقد و القراءة، من مقاربة معيارية إلى الأثر المفتوح (دمشق)

عام 2003: القراءة و الخطاب، مقاربة للمشهد الشعري الحديث (دمشق)

النص و فاعلية التذوق الأدبي(دمشق)

بلاغة الكتابة المشهدية (دمشق)

الصوت و الخطاب(دمشق)

الكتب و الدراسلات المنشورة :

- القراءة و الحداثة مقاربة الكائن و الممكن في القراءة العربية اتحاد كتاب العرب ديمشق سوريا جوان 2000م
- نظريات الكتابة في النقد العربي القديم دار الغرب النشر و التوزيع وهران 1999 م الجزائر
- فلسفة القراءة و اشكالية المعنى دار الغرب للنشر و التوزيع وهران 2000 الجزائر ط 2 2002 م

- فعل القراءة النشأة و التحول دار الغرب للنشر و التوزيع وهران 2001 م الجزائر.
- تواترات الابداع الشعري دار الغرب للنشر و التوزيع وهران 2001 الجزائر.
- فلسفة المكان في الشعر العربي اتحاد كتاب الغرب دمشق 2002 م سوريا.
- نظريات القراءة في النقد العربي المعاصر دار الادبي للنشر و التوزيع 2003 وهران 2007.
- المشهد السردي في القران الكريم قراءة في قصة سيدنا موسى تحت الطبع.
- المستقبلية في الحديث النبوي الشريف المخطوط.
- نقد النقد المنجز العربي في النقد الادبي دار الادبي للنشر و التوزيع وهران 2007 م
- اهم الروايات المنشورة.
- متاهة الدوريات المغلقة دار الغرب للنشر و التوزيع وهران 1999 م الجزائر
- جلالة الادب الاعظم دار الغرب للنشر و التوزيع وهران 2001 الجزائر.
- مقامات الصغة الاخرى من الوهم دار الغرب للنشر و التوزيع وهران 2002 م الجزائر.
- مقامات الذاكرة المنسية الجزائر العاصمة 2003
- العين الثالثة صدرت عن مكتبة الرشاد للطباعة في النشر و التوزيع 2009 م الجزائر .

ملخص البحث .

تهدف هذه الدراسة الى محاولة الالمام بالممارسات النقدية من خلال كتابات حبيب مونسي وما مدى تاثيرها على النقد عامة.

بما انه لابد لكل خطاب من مرجعيته يتكئ عليها فكان في الفصل الاول تتبع كيفية التحول من النقد الى القراءة و ردة الفعل في النقد العربي عند حبيب مونسي اما الفصل الثاني فانه يتحدث عن الممارسة النقدية لحبيب

مونسي و النتيجة الاجمالية التي تحصلنا عليها هي ان الخطاب النقدي الجزائري ما يزال في مرحلة المخاض و هو ارضية فنية صالحة للدراسة.

الكلمات المفتاحية :

النقد . الممارسة النقدية . القراءة . حبي مونسي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمـــة المصادر و المراجـــــــع

سورة العلق الاية الولى

- أحمد امين النقد الادبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط 3 / 1993
- افي ستالوني الاجناس الادبية ت ر محمد الزكراوي مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط 1 .2014
- انمبير توايكو التاويل و التاويل المفرد ت ر ناصر حلواني مركز الانماء الحضاري ط 1 .2009
- بشرى موسى صالح نظرية التلقي اصول و تطبيقات المركز الثقافي العربي ط 1 2001.
- تريسي بويل و جاري كومب التفكير النقدي ت ر عصام زكرياء جميل المركز القومي للترجمة القاهرة مصر ط1 2015
- تزفيتان تودوروف نقد النقد ت ر : سامي سويدان و ليليان سويدان دار الشؤن الثقافية العامة العراق ط 2 1996
- جميل حمداوي نظريات القراءة في النقد الادبي مكتبة المثقف د ط د ت
- حبيب مونسي سوسيولوجيا القراءة مجلة الوصل معهد الادب العربي جامعة تلمسان العدد 3 .1998
- حبيب مونسي فلسفة القراءة و اشكالية المعنى دار الغرب د ط 2007
- حبيب مونسي نظريات القراءة في النقد المعاصر منشورات دا الاديب د ط 2007
- حسن مجيدي سيد محمد احمد نيا النقد العربي المعاصر و تاثيره بالمناهج الغربية مجلة اضاءات نقدية
- رولان ثارث لذة النص ت ر منذر عياشي مركز الانماء الحضاري حلب سوريا ط 1
- سيد قطب النقد الادبي اصوله و مناهجه دار الشروق القاهرة ط 6 1996
- صبري حافظ افق الخطاب النقدي دار الشرقيات القاهرة ط 1 1996

- عباس محمود العقاد التفكير فريضة اسلامية نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ط 6 .2007
- عبد الرحيم الكردي قراءة النص مكتبة الاداب القاهرة ط 1 .2006
- عبد الله ابراهيم سعيد الغانمي عواد علي معرفة الاخر المركز االثقافي العربي بيروت ط 2 .1996
- عبد الله لالي قراءة في كتاب حبيب مونسي مجلة رابطة ادباء الشام 2015
- عبد المالك مرتاض نظرية القراءة دار الغرب للنشر و التوزيع د ط دت
- عز الدين اسماعيل التفسير النفسي للادب مكتبة غريب للنشر ط 4 د ت
- عصام البغدادي مفاهيم فكرية علم الجمال مجلة الحوار المتمدن العدد 1072
- علم تاريخ الحضارات
- علي حرب التاويل و الحقيقة دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ط 2 2007.
- فنسانجوف القراءة ترجمة سعاد التريكي جلال الغربي محمد الهيسي دار سيناترا المركز القومي للترجمة تونس ط 1 د ت
- فول فيغانغ ايزر فعل القراءة ت ر حميد الحمداني الجيلالي الكدية منشورات مكتبة المناهل فاس المغرب د ط 1987.
- فيرلاند هالين و اخرون بحوث في القراءة و التلقي
- محمد مبارك استقبال النص عند العرب
- محمد منظور النقد و النقاد المعاصرون دار النهضة القاهرة د ط 1997
- المسدي عبد السلام و الاسلوب و الاسلوبية نحو بديل السني في نقد الادب الدار العربية للكتاب د ط ليبيا تونس 1977
- مصطفى حسن سحلول القراءة و التاويل الادبي و قضاياها اتحاد الكتاب العربي ديمشق 2000 د ط

- ميجان الرويلي سعد البازعي دليل الناقد الادبي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 3 .2003
- نصر حامد ابو زيدي اشكاليات القراءة و اليات التاوير المركز الثقافي العربي المغرب ط 7 .2007
- نور ثروب ثراي تشريح النقد ترجمة محمد عصفون منشورات الجامعة الاردنية عمان د ط 1991
- هاربرت ريد الفن و المجتمع ت ر فتح الباب عبد الحليم مطبعة شباب محمد د ط د ت
- يوسف وغليسي مناهج النقد الادبي جسور للنشر و التوزيع ط 1 .2007

الفهرس

كلمة الشكر.

اهداء.

مقدمة.....أ .ب. ج

الفصل الاول : التحول من النقد الى القراءة عند حبيب مونسي.

المبحث الاول :

النقد مفهومه.....5

أهميته.....8

وظيفته.....10

المبحث الثاني :

القراءة مفهومها.....15

مرجعياتها.....20

ابعادها 23

التحول من النقد الى القراءة.....40

الفصل الثاني : الممارسة النقدية عند حبيب مونسي من خلال مؤلفاته.

المبحث الاول كتاب فلسفة القراءة و اشكالية المعنى.....48

المبحث الثاني كتاب نظريات القراءة في النقد المعاصر.....62

المبحث الثالث نقد النقد المنجز العربي في النقد الادبي.....73

الخاتمة.....86

ملحق السيرة الذاتية لحبيب مونسي.....89

المصادر 97

الفهرس.